
على خطا الخليل إبراهيم
عليه السلام
كسر الأصنام
قراءتان
الشيخ عمر بن محمود أبو عمر
أبو قتادة الفلسطيني
النور للإعلام الإسلامي

على خُطا الخليل إبراهيم عليه السلام
كسر الأصنام
«قراءتان»

الطبعة الأولى
١٤٣٣ – ٢٠١٢م

النَّاشِر :

النور للإعلام الإسلامي

Al Nur Islamic Information
Vesterbrogade 208 Box: 276 – 1800 Frederiksberg C. Denmark
Phone: (45) 2077 4828. E-mail: alnur1@hotmail.com



فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، وبالجملة فالسلامة من الخطر، أمرٌ يعِز على البشر، فسترَ الله على من ستر وغفرَ لمن غفر:

فَــانْظُرْ إِلَيْهَــا نَظَــرَ الْمُسْتَحْــسِنِ ... وَأَحْــسِنِ الظَّــنَّ بِهَــا وحَــسِّنِ
وَإِنْ تَجِــدْ عَيْبــاً فَــسُدَّ الخَلَــلا ... فَجَــلَّ مَــنْ لاَ فِيـهِ عَيـبٌ وَعَـلا
وَالحَمْــدُ للهِ عَلَــى مَــا أَوْلَــى ... فَـنِعْمَ مَـا أَوْلَـى وَنِعْـمَ المَـوْلَى
ثُـمَّ الـصَّلاةُ بَعْـدَ حَمْـدِ الـصَّمَدِ ... عَلَـى النَّبِـيِّ المُـصْطَفَى مُحمَّـدِ
وَءَالِـــهِ الأَفَاضِـــلِ الأَخْيَـــارِ ... مَـا انْـسَلَخَ اللَّيْـلُ مِـنَ النَّهَـارِ[1]

---

[1] الأبيات من «ملحمة الإعراب» للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري. (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ / ١٠٥٤ ـ ١١٢٢ م).



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النَّبيِّ الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين. أما بعد:ـ

فالقصص القرآني عِظة الله تعالى للحبيب المصطفى ولأصحابه في مكة المكرمة، لأنَّ أغلبها مكيّ النزول، وهذه القِصص كانت تخدم السيرة النَّبويَّة من جهاتٍ مُتعددةٍ، منها ما هو تسليَّةٌ للمؤمنين بأنَّ ما هم فيه قد جرى نوعه مع الأنبياء السابقين وأتباعهم، ومنها ما هو فتحٌ لسبيل العمل الذي يهديهم إلى اتباعه وانتهاجه، والاقتداء بالقصص القرآني لا يكون بالمُطابقة في كلِّ أحداث القصَّة، بل يكون بالعِبرة في معنىً من المعاني فيها، والفَرقُ مهمٌّ بين الأمرين، فإنْ ظنَّ البعض أنَّ سِير السالفين تحكى من أجل السَّيْرِ على مِنْوَالِهَا حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ خطأٌ أوردهمُ المهالك والجهالات، وهذه جهالةٌ في المنهج والعقل كذلك، لأنَّ المُقتدِي التابع له واقعٌ، وهذا الواقع يحكم حركته، لا واقع المُقتدَى السالف، فالموجب هو الواقع لا القصة الذاهبة مصدر العِبرة، أما الذين يفرضون القصة الذاهبة على الواقع الذي يعيشونه فهُمْ أبعد النَّاس عنِ المنهج العلمي بل العقل.

لقد قصَّ الله على رسوله ﷺ وأصحابه حادثة أهل الكهف في مكة، فهل ترى الصَّحابة فهموا منها السير على مِنوالها كما هي، أي الدخول فيها دخولاً كُلياً؟! أم أنهم فهموا العِبرة والمعاني الكُلية لهذا الحادث الإيماني القُدوة!! ثمَّ ما هو القَدر الذي يحتاجونه من القصة ليعملوا به تحقيقاً للاقتداء؟

عِبَر حادثة أهل الكهف كثيرةٌ معروفةٌ في كُتب أهل العلم، لكن القَدر اللازم للصَّحابة في زمانهم للإقتداء بها هو الهجرة، والهُروب بالدين مِن أنْ يُفتن من قِبل المُشركين، وجواز أن يستر المرء دينه ونفسه في وسط الكُفر مخافةَ العذاب الذي يرده عن مُعتقده، فهذا هو القَدر اللازم من الاقتداء، لكن مسيرة المُهاجر بعد ذلك، وما سيُلاقيه في هجرته لا تعني أبداً توافق الحدثين في شيءٍ من الصور، ولذلك لما هاجر الصَّحابة إلى الحبشة كانت سيرتهم هناك لا تمت إلى سيرة حادثة أهل الكهف بصلة إلاَّ بكون الفريقان مهاجرين فقط.

لقد كثُر في القرآن ذكر قصة موسى عليه السلام لأسبابٍ متعددةٍ أهمها مُشابهة سيرة موسى عليه السلام لسيرة النبي ﷺ، ولذلك كان يذكره النبي محمد ﷺ في مواطن المُشابهة كقوله ﷺ عندما أُوذي من المُنكرين عليه قِسمة الغنائم في حُنين: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[1]، فسيرةُ موسى عليه السلام نموذجٌ متكاملٌ، فهو قد ابتلي في دعوته إلى الله ضدَّ فرعون، وابتلي بعد ذلك مع بني إسرائيل بعد هجرته لهم، فهو نموذجٌ للعِبرة والاقتداء، لكن هل تُرى النَّبيَّ ﷺ كان يفرض النموذج المُوسوي في كلِّ أحداثه لما يفعلُ ويتحركُ، أم أنه كان يسير على سُنن الحِكمة التي يقتضيها واقعه؟! لقد أسرَّ رسول الله ﷺ دعوته في البداية، وهذا لم نره قط في دعوة موسى عليه السلام، بل كانت وِجهة موسى أولاً إلى فرعون من أجل دعوته للتوحيد وإطلاق بني إسرائيل من الأسر والذل والسخرة.

القدوة لا تعني فرض النموذج المُقتدى على الواقع، بل القُدوة تعني أولاً فهم الواقع كما هو ثم البحث عن طُرُقِ معالجته من خلال القُدوة إجمالاً، مع احترام وحكمة الخُصوصية التي تُناسب الحدث المُعاصر.

[1] «صحيح البخاري»: ١١٤٨/٣/ح ٣٠٨١، ١٥٧٦/٤/ح ٤٢٣٣، ٢٢٥١/٥/ح ٦٠٥٩. أطرافه ٣١٥٠، ٣٤٠٥، ٤٣٣٥، ٤٣٣٦، ٦١٠٠، ٦٢٩١، ٦٣٣٦.

لقد بيَّن أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القصص: ٤٣]. أنَّ الله عزَّ وجلَّ منذ موسى عليه السلام لم يُهلك أُمَّةً كاملةً بسبب مخالفتها الحقِّ والرُّسل، وقالوا إنَّ آخر أُمَّةٍ أُهلكت لمعصيتها هي القرية التي مُسخت قردةً وخنازيرَ كما روى ابن جرير في تفسيره عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، فإذا كان الأمر كذلك فما معنى أن يقصَّ الله على رسوله سيرة نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبَ عليهم السلام، وسِيرهم تدل أنَّ عاقبة عِصيانهم لرسولهم هو الهلاك والدمار، وهذا لن يكون مع رسول الله ﷺ؟

هذا السؤال ليس مُوجهاً للعِبرة، بل هو موجه للاقتداء، أي إنَّ العِبر لهذه القصص كثيرةٌ مفهومةٌ، لكن علمنا أنَّ قصص الأنبياء لرسول الله ﷺ هي للإقتداء كذلك، فما هو وجه الاقتداء هنا إن كان معنى الاقتداء هو سحب التاريخ لفرضه على واقع المقتدِي في زمانٍ مختلفٍ؟.

لا يمكن لأحدٍ أن يزعم المُشابهة في العواقب جميعها إلاَّ بكلمةٍ واحدةٍ هي النَّصر، أما كيف النَّصر، وما هو نوعه فهذا شيء يندرج تحته صور كثيرة جداً، مع أنَّ القرآن قصَّ علينا سيرة دُعاةٍ قتلوا واستشهدوا ولم يحققوا النَّصر المادي على خصومهم كما في قصة صاحب «يس»، وأما قصة أصحاب الكهف فليس فيها إلاَّ الهروب بالدين من الفِتن ثم الوفاة في هذا الباب. فالمقصود إذاً من الاقتداء أنَّ الفِعْلَ مشروعٌ، إذ قد فعله المهديُّون من قَبلك، وأنَّ عاقبته النَّصر بوجهٍ من الوجوه، لأنَّ التاريخ لا يتكرر عل وجهٍ واحدٍ، وإن كانت عِلله واحدة، أي بواعث حركة الإنسان فيه مُتشابهة، لكن لا يوجد معركة تُشبه أُخرى في كلِّ وجهٍ من الوجوه، ولو كان هذا يقع لما كانتِ الحياة إلاَّ معركةً واحدةً إنما تنتقل من زمنٍ إلى آخرٍ.

هذه ينبغي أن تكون أبجدية في القصور الإنساني، وهي كذلك عند العُقلاء، لكن مفاهيم العقائد المُنحرفة تفرض خُرافة الوهم فوقَ واقع الأشياء، ولذلك كانتِ البدع هي أكثر ما يحطم العقل، وأشدُّ ما تُصيب الإنسان حتى يغدوَ فاقداً الفناء، أو الذهاب إلى الهامش، وسيؤسر داخل حلقة اليزيدي، وحلقة اليزيدي هذه نموذج في فرض الوهم على الواقع، فإنَّ اليزيدي ـ أي عابدَ الشيطان أو كما يُسمونه طاووس ملك ـ لو صنعت حوله دائرة فإنه في اعتقاده لا يستطيع تجاوزها من قِبل نفسه، بل يحبس نفسه فيها حتى يأتي من يُزيل هذه الدائرة المرسومة حوله، لتصوره أنه محبوس داخل الخط.

في الفقه الشرعي: الواقعة أولاً ثم الفتوى أي لا بدَّ من فَهْمِ الواقع أولاً، ثم يأتي الفقيه المجتهد لها بالحل الشرعي من نصوص الكتاب والسنَّة.

في واقعنا مَن قَلَبَ المُعادلة، فهو يريد أن يفرض التاريخ على الواقع، ويزعم أنَّ هذا هو الدين، ويزداد وهمه حين يزعم أنه يسير على سُنن السابقين حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ.

فقه القصص القرآني، وفقه السيرة النَّبويَّة لا يمكن تحقيقه إلاَّ بأن يفهم المرء واقعه، وما فيه ثم بعد ذلك يذهب إلى التاريخ النموذج ليأخذ منه الحل، ثم كيف يجري هذا الحل في واقعه فتلك قضية أُخرى مجالها عقل هذا الإنسان وإبداعه وحِكمته.

الهجرة في سبيل الله تعالى حلٌّ شرعيٌّ لواقعٍ معلوم حاله في الأُمم، لكن تحقيق الهجرة في واقع ما يحتاج إلى حكمةٍ وهداية عقل وقيادة واعية.

الأُمة الإسلامية اليوم تُعاني شللاً في هذا الباب، وأكثر الناس انحرافاً في هذا الباب هم أكثر النَّاس رفعاً لشعار إحياء حياة السلف، إذ مُعاناتهم في هذا الباب مَرَضيَّة بامتيازٍ، فهم وإن كانوا أقرب إلى غيرهم في الشرعيات لكنهم هم والصوفية في مرتبةٍ واحدةٍ في إنكار الحقائق والعقليات، فإن سحبهم للتاريخ دون

النظر للواقع يدل على أن ما يزعمون من فتح باب الاجتهاد ولا يعني أكثر من دعوى عارية عن الدليل بكلِّ جوانبها.

لا يعني أنَّ هؤلاء فقط في هذا الباب، بل وراءهم جموعٌ من المشايخ الذين يلتصقون بالتاريخ على وجهٍ مرضيٍّ غريبٍ، فهل يبعد عن الصوفية الغنوصية السابقة أمثال رجال كثر يريدون تقليد تجربة سابقة حققت بعض النَّجاح في ظُروفها، ويتخذونها نموذجاً كُلِياً للعمل، فإنْ كانتِ التجربة عِلمية غير اجتماعية جعلوها نِبراساً لهم بهذا الشرط، أو كانت عِلمية غير سياسية كانوا كذلك، أو كانت عِلمية غير جهادية أصروا أنَّ هذا شرط النَّجاح الذي يجب سُلوكه، وهكذا دَوَالَيْكَ، وهم يجمعون الأتباع بسبب سطوة الأسماء السابقة، وميل الجموع المسلمة إلى التقليد وموت العقل وغِيابه، ولا يغرنَّكَ أبداً ادعاء الاجتهاد، ونبذ تقليد الأئمة، فهذه شِنْشِنَةٌ تمارس على مسائل لم يبقَ فيها ما يُقال، أما تحقيق التجديد للأُمة في رفعها من واقعها، وتطوير إرادتها نحو أهداف الإسلام ومرتبة الخيرية فهذا لا يكاد يُوجد فيه شيء من التجديد ولا الاجتهاد، إنما هو التقليد ورفع سيوف السابقين في تجاربهم الحياتية والإصلاحية.

هذه الكُتب التي تتحدث عن مقومات النَّجاح كرفع الهمَّة، وتقوية الإرادة هل تراها تتحدث عن السبيل القويم في عمل هذه الهمم والإرادات، وماذا تعمل إن رفعت وقويت؟.

سيقول لك البعض نعم، وأنا أقول كذلك نعم.

إنها تتحدث عنِ الهمَّة في طلب العلم، والهمَّة في قيام الليل، والهمَّة في الطاعات النُّسُكِيَّة، وهذه أمورٌ حسنةٌ شرعيَّةٌ مهمةٌ في حياة الأمة الإسلامية، لكن ما زال السؤال قائماً:-

أين السبيل القويم في إحياء الأمَّة من كَبْوَتِهَا ورفعها إلى مرتبة الخيرية والوراثة؟

لقد مارس الأنبيَّاء عليهم الصلاة والسلام أفعالاً نموذجية في القُدوة، كانت هي الأهدى والأقوم في زمانهم، وفي داخلها يُوجد المَخرج لواقعنا، ومما لا شكَّ فيه أن حياة النَّبيِّ ﷺ هي السيرة الأُولى للقُدوة، مع علمنا بأنَّ قاعدة السيرة النَّبويَّة في الفِعْلِ كان منها ما هو مشتقٌ من سيرة الأنبياء والسابقين، لقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

لقد حاولتُ في كتابي[1] في شرح غزوات النَّبي ﷺ تقديم العلاج لهذا الواقع، وتتميماً للفائدة من أجلِ تحقيق معنى الاقتداء بالقصص القُرآني رأيتُ أن أسحب فِعْلاً نبويّاً مباركاً رشيداً من التاريخ إلى واقعنا، لنرى كيف رداتُ الفِعْلِ حوله لو وقع اليوم، وكيف ستنشط الاحتمالات العقلية التي لا حدود لها في تصويره والحُكم عليه، وهذا الفِعل هو فِعْلُ الخليل إبراهيم عليه السلام في كسر الأصنام، وهذه التجربة تكتنفها أمورٌ متعددةٌ منها ما هو خطيرٌ حقاً، ومنها ما هو وهمي لا حقيقة له، وما هو حقيقي يتعلّق بالخطورة الشديدة في كلام المسلم المُتديِّنِ عنِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنَّ واقع هذا الكتاب سيكون خارج المألوف، وهو حمل القارئ إلى أسماء جديدة هي في واقعنا، مع أنها في عقل القارئ هي لرجالٍ معصومين ـ أي أنبياء ـ، فإبراهيم عليه السلام هو خليل الله، النَّبي المعصوم، والقصَّة في القرآن تحكي عنه، وتمدح فِعله، لكن لِنَتَخَيَّلَ أنَّ فَتًى مسلماً أراد أن يفعل فِعله فكسر أصنام قومه، أو أصنام قومٍ آخرينِ مشركين، فماذا سيقول النَّاس عنه اليوم؟.

بلا شك سيقولون الكثير من الشَّرِّ، وهذا الذي سيقولونه سأبتُهُ هنا في هذه الورقات، وهو منسوبٌ إلى شيوخٍ ومُفتين وخُطباء مفكرين، وكذلك إلى غير مسلمين من ضُباط أمن وأطباء نفسانيين، ومحللين أخبار علمانيِّين، فهل

[1] «**مع صبغة الله الصمد.. على خُطى التراجعات والتخذيل.. محواً** ـ ، «هداية صبغة الله الصمد في مغازي الماحي محمد T » قراءة تفسيرية لمغازي رسول الله T في القرآن الكريم.

سيحتمل النَّاس هذا.! هذه هي المشكلة الحقيقية، إذ مهما حاولت أن أجعل هؤلاء يتكلمون عن فتى معاصر، فإنَّ القارئ مطبوعٌ في ذهنه أنَّ المقصود هو إبراهيم الخليل عليه السلام، لكن أظن أنَّ الأمر مهم لأمورٍ متعددة:-

✰ بيان انحراف المُخالفين لمنهج الأنبياء من أصحاب العمائم ودُعاة الفِكر الإسلامي وزاعمِي الفقه المُعاصرين، فإنهم حين يُعلقون ويفتون على أحداثٍ مُعاصرةٍ إنما يسلكون سبيل الضالين في فَهْمِ الواقع والشرع، كما أنهم يحكمون على نتائج هذه الأفعال من خلال رؤية مادية غير إيمانية، فإن عندهم الموت في سبيل كلمة الحقِّ خسارة ومفسدة، وأنَّ خسارة المال والأهل والوطن مقاصد مرفوضة في الشرع مُقابل الفعل الإيماني، وهذا التفسير والمنهج في الأحكام منهجٌ لو عقلوا حقيقته وطبقوه على أفعال الأنبياء وأتباعهم لَوجدوا أنهم في صعيدٍ آخرٍ لا يلتقي مع إيمانهم بعصمة الأنبياء، ولا بدعوة القرآن، ولا بحركة المهديِّين السابقين المُقتدَى بهم في الخَلق، لكن هذا الإدراك لهذا الخطأ الجسيم الذي يقع منهم غير موجود، وسبب ذلك هي الأسماء، فإنهم لا ينظرون إلى الفِعْلِ من وجهة نظر إيمانية، ولكن ابتداءً تتوجه أنظارهم إلى الفاعل، وهذا لِتَعَطُلِ العَقْلِ وزَيْفِ دعوى الاجتهاد المرفوعة في زماننا، فهم إنْ سِيقَتْ لهم قصة حدثٍ ما فإنه لا بدَّ من معرفة الفاعل أولاً، فإنْ كان ممن يحترم عندهم سكتوا وأجبروا أنفسهم على السكوت، وأما إن كان غير ذلك فإن نشاطهم العقلي يتوجه بقوة إلى البحث عنِ المساوئ والثغرات.

لقد احتاجَ دُعاة الاجتهاد إلى مُقدماتٍ طويلةٍ لبيَّانِ شرعية فِعْلِهِمْ وأهم هذه المُقدمات عدم عِصمة الفُقهاء وخاصة الأئمة الأربعة، مع أنَّ هذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة، لكنَّ العِلْمَ العقلي شيءٌ والواقع النفسي شيءٌ آخرٌ، فالمُقلد الشافعي يعلمُ أنَّ الشافعي ليس معصوماً وهو يقبل أن يُقال إنَّ الشافعي يخطئُ ويُصِيبُ، لكن لو قُلْتَ له في حوارٍ ما: هذه مسألةٌ أخطأ فيها الشافعية، لَبرزت

عنده أمورٌ متعددةٌ ترفضُ هذا الكلام، منها السؤال القديم: مَن أنتَ؟ وهو سؤالٌ يمثل الاعتقاد بأنَّ المذهب معصومٌ لا يخطئ، وكل الأسئلة بعد ذلك، كما كل الحوار التالي لذلك إنما هو صدى لحقيقة نفسيَّةٍ لهذا الاعتقاد مع رفض التصريح به، فعالم العقل المسلم ومنذ مدة طويلة محكومٌ بالأسماء، وظلال هذه الأسماء هي التي تغشى الفِعْلَ قبولاً ورداً، فالصوفي لا يدرس ما يقوله إمامه الصوفي دراسة علمية شرعية، ولا دراسة عقلية واقعية، بل هو يُسلم له لأنه في نفسه في منزلة القبول التام، بل إنَّ الأمر أشدّ من ذلك، وهو أنَّ هؤلاء الوسطاء ـ الذين سماهم العلماء بِبُنَيَّاتِ الطريق ـ هم جِدارٌ في نفس المُقلدين تمنعهم من الاهتداء بالكتاب والسنَّة هذا الصوفي هو حالة منتشرة حتى عند أتباع أعداء التصوف النُّسُكِي، فالذي يُعظم شيخاً ما في بابٍ من أبواب العِلْمِ هو على نهج هذا الصوفي المِسكين، ومِن واقعنا نموذجٌ حيٌّ، وهو ما انتشر في كُتب المُصَنِّفِينَ وخُطَبِ المُتحدِّثِينَ من أهمية ذكر الأحاديث الصحيحة، وهذا أمرٌ في أصله محمود بل واجبٌ شرعيٌّ، لكنَّ واقعَ الفِعْلِ هو التقليد البحت، فحين يلغي الكثيرون أحكام السابقين على الأحاديث لِيَصِيرُوا إلى ما صححه الشيخ الألباني رحمه الله، وإنما هو صدى لمفهوم العصمة النفسي الذي تحيَّاه طوائف كثيرة من المسلمين اليوم، فالكتاب المحقق هو ما ذُيلت أحاديثه بالعبارة المشهورة: «صحيح الجامع»، أو «ضعيف الجامع»، أو «السلسلة الصحيحة» أو «السلسلة الضعيفة»، لكن لو وضعَ أحدهم تعليقَ ابن كثيرٍ على حديثٍ، أو حُكْمَ ابن حجرٍ أو العراقي أو السخاوي، ولا أقول الدارقطني والخطيب البغدادي بل ولا أقول يحيى بن مَعين وعلي بن المَدِيني وابن أبي حاتم الرازي وطبقتهم لَوجدتَ القارئ ما زال يتساءل: ماذا قال الألباني لِتطمئنَ نفسه، ولن نعدم أحداً يقول: هذا من القبول الإلهي أن وضع لها القبول في الأرض، وهي على نفس منهج إنزال كلمة الإمام أحمد حين قال: «بيننا وبينكم يوم الجنائز»، إذ يجعلونها منهاجاً لرصد سبيل

الحثِّ من سبيل الضلالة، ولا أدري مَن نطبق مِن الأمرين إنْ تعارضَا في شخصٍ واحدٍ.

إنه عالَمُ الأسماء والشخوص وظِلالهم على الفِعْلِ والقَوْلِ.

إبراهيم عليه السلام كسرَ الأصنام فهذا فِعْلٌ نبويٌّ رشيدٌ، أمرنا الله بالإقتداء بهديِّ صاحبه حين أمر سيدنا وحبيبنا بذلك، فالُمهتدي بفعله سيجابه أول ما يجابه في الوسط المسلم: مَن أنتَ؟، هي حالة مُوازية لحالة الرفض الذي رأيناه عند مخالفة غير المعصومين، ذلك لأنَّ أفعال الأنبيَّاء في نفس المسلمين اليوم هي أفعال عُلوية سماوية، وكأنها لم تجرِ على الأرض.

إبراهيم عليه السلام أُلقي في النَّار العظيمة فقال الله لها: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فحصلتِ الُمعجزة كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤]، ولهذه الخاتمة الخاصة بالنُّصرة الإلهية فإنَّ الاقتداء بالفِعل ممنوعٌ عند المسلمين اليوم، لأنهم كما تقدمَ يجب الدخول في الصورة كاملة ليحصل الاقتداء، فلو أنَّ مسلماً مهتدياً فَعَلَهَا ثمَّ أُخِذَ فَعُذِّبَ وَقُتِلَ، فهذا دليلٌ أنَّ اقتداءه باطلٌ، وأنَّ فِعْلَهُ ليس على سنن إبراهيم الخليل، ولو قيل لهم: هل كانت هناك ضمانة إلهية لإبراهيم عليه السلام بالنَّجاة من النَّار؟! لَتخبطوا في الجواب خبطَ عَشْوَاء لأنَّ هذا السؤال يُبَيِّنُ أنَّ الفِعْلَ ممدوحٌ دون النظر لعواقبه على الفاعِلِ بالنَّجاةِ أو عَدَمِهَا، بل إنَّ سنن الآخرين بالمعروف والناهين عن المنكر في الأكثر تبيِّنُ أنَّ العاقبة هي الشهادة والابتلاء.

إذاً هما مُعَوِّقَان في النفوس للاهتداء بقصص القرآن؛ الظن بعدم أرضية الأسماء الُمهتديَّة، والنظر إليها أنها خارج الأرض، وأما نحن فأهل زمنٍ مختلفٍ، فما وقع لهم ليس مضموناً لنا، وعدم فَهْمِ معنى الاقتداء إلاَّ بالدخول في الصورة

الكاملة من بدايتها إلى نهايتها، ولذلك تنشأ أحكام الجهل، وتعليقات الضلال ضدَّ الأفعال المُعاصرة حتى لو كان معناها هو عين ما وقع من أفعالٍ وقعتْ للأنبياء أو للمُقتدِي بهم مِن المُهتدين، فإنهم يرون أمامهم بشراً أرضيين، وهم مُعاصرونَ لهم، والمُعاصرة حِرمانٌ كما هو معلومٌ، تمنع الإنصاف وتُنشئُ الخصومة والمُنافسة والحسد، ثم هُمْ يبحثون عنِ الصورة الكاملة التي يعلمونها فلا يرون فيها إلاَّ جُزءاً يسيراً، فمخطئُون هؤلاء الفُتيا الذين هربوا بدينهم من الفتنة لو وقعوا في وسط الطريق في حادثة فماتوا، أو قُتلوا، فهم لِعدم موتهم ثلاثمائة عامٍ وازدادوا تِسْعاً ثم بُعثوا لا يستحقون الادعاء أنهم على سنن هؤلاء الفتية من أهل الكهف.

✰ بيان انحراف الاحتمالات العقلية في المسائل الشرعية، فإنَّ فتح هذا الباب يُؤدي إلى إبطال أي فعلٍ حتى لو كان صادراً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والاحتمالات العقلية في هذا الباب لها صور كثيرة أهمها أنَّ كلَّ فِعْلٍ لا بدَّ فيه من جانبٍ غير مقصودٍ للفاعل، وهو جانب الضرر الذي يلحق الفاعل نفسه، أو يلحق من يلوذ به، ذلك لأنَّ الحَسن المُطلق لا وجودَ له في عالَمِ السنن الأرضية، وإنما الحكم للأغلب إن كانتِ المفاسد والمصالح في مرتبةٍ واحدةٍ، أما إن كانت المفاسد من طبقاتٍ مُتعددةٍ فلا ينظر إلا إلى الأعلى منها، فإن كانتِ المَفسدة مالية وكذا المصلحة مالية فحينئذٍ يُقدم الأغلب، لكن المصالح ليست على مرتبةٍ واحدةٍ، فمنَ المعلوم بالضرورة أنَّ مصلحة الدين مُقدمة على مصالح البدن والمال والنفس، فإنْ تعارضت مصلحة الدين على مصلحة البدن والمال والنفس فلا يُنظر إلاَّ للأعلى وهي مصلحة الدين، لكن الاحتمالات العقلية التي نهى عنها الأقدمون هي عين ما يفعله المحلِّلُون اليوم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، بل إنَّ مِعيارَ الكثير من المسلمين اليوم في رُؤية الوقائع وتقيِّيمها هو عين ما يقوله الآخرون، ويزيدون انحرافاً أنهم يلبسون هذه الاحتمالات شرعية دينية،

فالقواعد الكُلية جاهزة، وإن لم تُوجد في ذِهْنِ المرء بحث عن فرعية تعينه، والعمومات بابٌ واسعٌ لإدخال ما يحب المرء فيها وما يخرج، ولذلك فلا عجبَ أن يلتقي مُفتون وفُقهاء ومُفكرون مسلمون مع كَفرة علمانيِّين لا يدينون بدين الحقِّ على قاعدةٍ واحدةٍ في المطالب حين يزعمون الاتفاق على مبادئ عامة يدعون إليها، كالعدل والحرية والمُساواة، وهي كلمات لا يُوجد في الأرض مَن يكرهها، لكنَّ الخلاف بين الأنبياء وغيرهم فيها هو المدلول الذي تحتويه، والاقتراب ليس دليل صحة ولا دليل توافق محمود، لأنَّ واقع دعوة العبودية لله تختلف في تكيِّيفها وفي وضعها للأشياء حتى لو كانت تلتقي مع الظاهر فيها مع الآخر المُعاند لطريق العبودية، ولهذا الانحراف الذي تماهى فيه كبار من المفتين والفقهاء والمفكرين مع العلمانيِّين صار رَصْدُ المفسدة والمصلحة على صعيدٍ واحدٍ وفي مقياسٍ واحدٍ.

إخراج الحادثة القرآنية المهديَّة من التاريخ على معنى الاقتداء الصحيح إلى زماننا يحقق إفساد هذه الطُرق في التحليل والتقويم والحُكم، ويُبْطِلُ هذه الاحتمالات، وتُبَيِّنُ للمُنصف المُهتدي بهديِّ القرآن أن ما يقوله هؤلاء عن حوادث زمانهم إنما هو باطلٌ مِن القَوْلِ، ويظهرُ بوضوحٍ أنَّ جُرأتهم على هذه الأحداث المُعاصرة هي جُرأةٌ غير شرعيةٍ، بل مَبناها الجهل أو الحسد أو الهوى، لأنَّ أيَّ قَوْلٍ سيقولونه هو مُوجهٌ لحادثة القصَّة القرآنية للمُشابهة الحقيقية في المعنى بلا إشكالٍ، لكن يمنعهم مِن هذا هو الجهل بمعنى ما يقولونه في حوادث اليوم هو كل هذا والجُرأة على المعاصر.

☆ العِبرة والاقتداء يَعْنِيَانِ الإمكانية، ويُلْغِيَانِ الفوارق المُستحيلة، فالأنبياء ومَن معهم في القرآن هم بشرٌ، كانوا يعيشون البشرية بكلِّ تفاصيلها، ولهم خُصوصية واحدةٌ هي الوحي كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]، [فصلت: ٦]. وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾ [إبراهيم: ١١]، والقصص القرآنية تعني التجدد، أي وجود المُقتدين في كلِّ وقتٍ، إذ لن تخلو الأرض مِن قائمٍ بحجةٍ، فمادام هناك حقٌّ وباطلٌ فإنَّ القصَّة سيتم الاقتداء بها والعِبرة منها، ومن رأى حادثة زمانية مُعاصرة على وجهٍ من وُجوه القصَّة القرآنية فهو في أصل بحثه مصيبٌ، بل هذا واجبُ العلماء، أي أن يُدخلوا واقعهم في آيات القرآن، فرسول الله ﷺ سمى أبا بكرٍ على وجه يُشابه إبراهيم عليه السلام، وسمى الفاروق على وجهٍ يُشابه نوح عليه السلام، وذلك في حادثة أسارى بدر[1]، وسمى أبا جهل فرعون هذه الأُمة[2]، ورفض الصَّحابة موقفَ بني إسرائيل حين قالوا لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]. بل قالوا: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ»[3]، كما في قصة غزوة بدر، فهذه سنَّة نبويَّة مهديَّة، وهي طريق المُهتدين من الصَّحابة، وكذا فعل ابن تيمية حين صوَّر ما وقعَ في دمشق حين غزو قازان لها على وجه ما وقع للصَّحابة في الخندق، وجعل الآيات القرآنية التي في سورة «الأحزاب» على معنى ما حدث في تلك الواقعة، مع أنه لم يحدث في حادثة قازان عين ما حدث في الخندق من الحدث، لكنها العِبرة والاقتداء على معنًى صحيحٍ، ولن تُعدم في زمانه مَن استهجن هذا

---

[1] قَالَ النَّبِيُّ T: «**مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَثَلُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ فِي الأَنْبِيَاءِ، أَحَدُهُمَا أَشَدُّ فِي اللهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَهُوَ مُصِيبٌ، وَالآخَرُ أَلْيَنُ فِي اللهِ مِنَ اللَّبَنِ وَهُوَ مُصِيبٌ**» أبو نعيم عن جابرٍ Z. «جامع المسانيد والمراسيل» للسيوطي. ٦/٤٤٠/ح١٩٧٨٧.

[2] «مسند أحمد»: ٢/٢١/ح٤٢٤٣، ٤٢٤٤، ١/٦٦٥/ح٣٨٢٣. «السنن الكبرى للبيهقي»: ١٣/٣٢٥/ح١٨٣٨٧، ١٣/٣٨٩/ح١٨٥٣٩. «السنن الكبرى للنسائي»: ٣/٤٨٨/ح٥٩٥٨.

[3] «مسند أحمد»: ٥/١٩٩/ح١٧٣١٢، ٥/٤١٠/ح١٨٤٧٢. «مصنف ابن أبي شيبة»: ٨/٤٦٩/ح٣٢٤٤٩، ٨/٥٠٥/ح٣٢٦٢٨. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٩/٥٠٧/ح١٥٦٨٣. واللفظ له، قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. «جامع المسانيد والمراسيل»: ١٩/٣٧٩/ح١٤٨٨١، ٢١/٨/ح١٨١٧٨.

الأمر ورآه بعيداً، على قاعدة المعاصرة «حرمان» كما تقدم، ولعدم فَهْمِ الوقائع على وجهٍ سَنني صحيحٍ، ولو سألتَ اليومَ واحداً مِن المُخالفين في هذا الباب: هل ترى حدثاً في الوجود على معنىً إيماني يُشبه قصةً قرآنيةً تقرؤها لَصدم مِن السؤال لأنه لم يُفكر فيه مِن قبلُ، وربما استهجنه وصار إلى النفيِّ المُطلق، لأنَّ أمثال هؤلاء لا يرون عِبرة الإيمان إلاَّ على وجهٍ خياليٍّ لا علاقة له بالأرض وسُننها.

نهاية القول: لو أن إبراهيم عليه السلام كان في زماننا، أو أراد فتىً مثله أن يفعل فِعله اليوم فماذا سيقول خط الانحراف عنه؟.

وسبب طرح هذا الموضوع؛ أي كسر الأصنام مِن قِبَلِ إبراهيم الخليل عليه السلام ومِن غيره اليوم، لأنَّ حادثةً معاصرةً هي حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ في الاقتداء بها قد وقعت، فانطلقتِ الجموع من داخل الصف الإسلامي تتهم فاعِلَها، أو فاعِلَيْهَا بالانحراف والخطأ، وجعلوا سببَ الحُكم هذا هي النتائج المُترتبة عليها، مع أنَّ حادثة إبراهيم عليه السلام كانت نتائجها كذلك كما سيأتي:

سنقرأ القصَّة القرآنية كما هي في القرآن الكريم، إذ وردت في موطنَيْنِ؛ في سورة «الأنبياء» وسورة «الصافات»، وفيها المدح لفاعِلِهَا على وجهٍ تتطلع إليه نفوس المؤمنين وتَهْوِي إليه أفئدتهم، وفي الوجه المُقابل سنعرض ما نقدر عليه من فقهٍ مُنْحَرِفٍ، وتصوراتٍ باطلةٍ، وتحاليل جاهلةٍ، وحروبٍ قَذرةٍ يفعلها اليوم خصوم أتباع ملَّة إبراهيم عليه السلام حين يقتدون به فيكسرون الأصنام.

ما يُثبته القرآن من معاني المدح لإبراهيم عليه السلام هي الحقيقة، وهي ما يسعى إليه المُهتدون، وما سنعرضه من أقوال المُخالفين هي حقائق واقعة كذلك، نقرؤها ونسمعها ونُشاهدها، أي ليست خَيالاً، ولا عرضها سيكون رواية من صُنْعِ خيالِ صاحبها، فإذا قلتُ قال الشيخ كذا، فقد قال الشيخ ذلك حقيقة لا خيالاً ولا وَهْماً، ولكني لم أذكر معاصراً باسمه لمعنىً أُريده، وهو أن أترك

للقارئ هذا الفِعل، إذ أنَّ واقعه فيه هذه الشخوص، فهو يعرفهم، وقد سمع منهم، ولذلك سيكون هذا القائل ليس واحداً، بل بعدد القائلين الذين يعرفهم قُراء هذا الكتاب.

قضيةٌ أُخرى وهي كيفية الردِّ على خط الانحراف وخاصة فريق الفقهاء الجُدد ومَن معهم من أصحاب الخطاب الديني البدعي، لأنَّ أقوالهم هذه وأدلتهم فيها قد تبدو مُتماسكة، أو كما يُقال: لها وجهة نظر، فكيف الرد الفقهي الأصولي عليها؟.

لم أرُدْ في هذه الورقات الرد على كلامهم فِقهياً وبيان ما فيه من انحراف، إنما أردتُ أنْ أعرضَ فساد مقابل الفِعل الإيماني لإبراهيم عليه السلام ومُتَبِعِيهِ مِنَ المُهتدين، إذ مجردَ عرضِ أقوالهم أمام فِعْلٍ قرآنيٍّ ممدوح يكشف زيف هذه الأساليب المسلوكة اليوم مِن قِبَلِ أصحاب العمائم وحَمَلَةِ ما يُسمى بالفِكر الإسلامي وقادة الأحزاب التي قلبت صورة المسلم من عابد مجاهد عماد صورته هي ذكرى الدار الأُخرى، إلى مجرد «حزبي» مشغول بالهم الذي تعيشه الأحزاب العلمانية الكافرة ولكن بغطاء إسلامي لا يملك إلا الاسم فقط.

عرضُ الصورة الواقعية أمام فِعْلٍ قرآنيٍّ مهتديٍّ يكشف للمسلم اليوم مِقدارَ انحراف المُخالفين عن خط القرآن، لأنَّ الخطاب الفقهي الصحيح يحتاج إلى تقويم اعوجاج المنهج الأُصولي المُتبع مِن قِبَلِ الفقهاء الجُدد، وهذا مسلكٌ يحتاج المرء إلى مستوى علمي خاصٍ لا يفقهه الكثيرون من دارسي كليات الشريعة فكيف بغيرهم؟! ولأضربَ مثلاً بما يُسمى بفقه التَيْسِير وبما يُسمى بفقه المصالح والمفاسد.

ففقه التَيْسِير أساسه عند السابقين يقوم على الزندقة بالمفهوم الذي يطرق بعض المشايخ اليوم، فشعار التيسير في الكتاب والسنَّة وكلام السلف من فُقهاء الأُمة المرضيِّين لا يلتقي أبداً مع المفهوم الضَّال الذي يتبناه الفقهاء الجُدد، إذ أنَّ التيسير عندهم اليوم يعني اختيار المقول الأيسر من كلام الفقهاء المجتهدين، وهذا مبني

على قاعدة تصويب المجتهدين، وهي قاعدة صرح السابقون أنها أساس الزندقة، لأنها تَنسب للشرع القولَ وضدَّه، وتجعل خطأ الفقيه ديناً يجوز اتباعه اختياراً، مع أن النبي ﷺ بيَّن الفرقَ بين أجرِ الاجتهاد وبين صوابه وخطئه، فالفقيه يخطئ وله أجر الاجتهاد، لكن تصويب المجتهدين يلغي خطأ الفقيه ويجعل قوله ديناً يسع المُكلف أن يأخذ به في حال، وهذا القول قد تطور على يد عبد الوهاب الشدافي في «الميزان الكُبرى» وتضلع منه المُعاصرون اليوم اتباعاً للجهل وانسياقاً وراء الهوى للتحلل من التكاليف الشرعية.

أما فقه المصالح والمفاسد المُعاصر فهو فقهٌ ضالٌ، بل يُؤدي لُزُوماً بلا مَثْنَوِيَّةٍ إلى إلغاء السنَّة النَّبويَّة، لأنه يقوم على العُمومات والقواعد الفقهية دون اعتبارٍ للخاص، وهذا لم يَقُلْ به فقيهٌ قط من السابقين المهديِّين، بل صرَّحُوا أنَّ القواعد الفِقهية ليست دليلاً لمسائل الشرع بل هي تضبط فتاوى النوازل، ثمَّ إنَّ هؤلاء أخذوا اسم المصالح والمفاسد مِن السابقين فقط ثم أعادوا ترتيبها حسب أهوائهم دون اعتبار للشرع في حال تعارض الحسنات والسيئات، وبالتالي صار مفهوم المصالح والمفاسد مفهوماً دُنيوياً غير ديني وهي عين قواعد المُشركين في ردِّ التوحيد في قولهم: ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ [القصص: ٥٧]، وقاعدة إخوانهم: ﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وقاعدة المنافقين: ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وسبب هذا كلِّه هو انحسار الدين والغيب أمام الدنيا وشهوتها في قاعدتهم المزعومة في المصالح والمفاسد.

حين نستحضر الفِعل الإيماني من خلال جوانبه القرآنية ثم نرى ماذا يقول القائلون اليوم نُدرك بسهولة ويُسر جهالاتهم وذلك بأيسر طريقٍ، لأنَّ المثلَ أسلوبٌ قرآني، وهو خيرٌ لعموم النَّاس؛ عالمهم وعامهم، فلعلَّ العالِم يُدرك مستقر كلامه أين هو، فيُعيد فهمه للشريعة، وإنْ أخلص لله فسيبدأ من القرآن الكريم، فهو المُبتدأ والمُنتهى، ولو تفكرَ الفقهاء الجُدد أنَّ مصادر فِقهم المُعاصر

مأخوذة من «بُنَيَّاتِ الطريق»، وأنَّ دراستهم للقرآن ضعيفة بل مُتَلاَشِيَّة لَعلموا مِقدار بُعدهم عنِ الحقِّ فيما يقولون ويفتون، ورحم الله ابن تيمية حين يخبر آخر عمره عن ندمه في عدم تفرغه للقرآن الكريم، مع ما نعلم من أن أقوى جوانب هذا الرجل العملية هو جانب التفسير والتأويل.

أما العامي فإنَّ الصورة والمِثال خيرٌ من التجريد، يُدرك هذا كل إنسان بفِطرته، فحين يرى العامي قولَ المُعاصر في فِعْلٍ إيماني ٍّ ممدوحٍ كفِعْلِ إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه سيتجاوز عَقبة التقليد التي يأسره الفقيه المُعاصر فيها إلى تدبره بالقرآن الكريم كما أمر الله تعالى عَبِيدِه.

ولتحقيق الصورة كاملة في فساد منهج الكثير من المُعاصرين في أحكامهم الشرعية، وضلال ما يقولونه حول أحداثٍ وأفعالٍ إيمانيَّةٍ مُعاصرةٍ فكان لا بدَّ مِن الفصل الثالث؟ وهو فصل الآثار التي لا يرضاها مِزاجهم المُنحرف، ولا تستقيم على قانون أُصولهم المُعاصرة، وهذا الفصل الذي يكشف أحكامهم في مثل قضية كسر الأصنام، لأنه يكشفُ طُرُقَ حُكمهم وبواعثه، وحين يرى طالب الحقِّ والهُدى ذلك سيُدرك أنَّ ما يقولونه ليس من الدين في شيءٍ، حتى ولو تلبَّسَ بعبارة الشرع الحكيم، أو بدا لأول قراءةٍ أنَّ مُرادَ أصحابه الخير للإسلام وأهله، وعرض الأحاديث والآثار والأخبار على هذا الوجه طريقة قديمة هي أشبه ما كان يُقال له قديماً لاختلاف الحديث أو تهذيب الآثار، ومنافعها أعظم في باب الهُدى من غيرها، فأرجو من الله أن ينفع بها، لأنَّ مناهج الانحراف في التعامل مع أهل الجهاد اليوم مِن قِبَلِ الفُقهاء الجُدد هي التي تفتح الباب لإفساد الدين كلِّهِ، وردِّ الآثار كلِّها حتى في ما هو مجمع عليه؛ معلوم من الدين بالضرورة، فالقراءات المُعاصرة للقرآن كما يُسميها أصحابها، أو كما يُسميها البعض بتجديد الخطاب الديني إنما هي نِتاج خط الانحراف الأول في التعامل مع المجاهدين وهَديهم في هذا الزمان، فالقانون الذي تعطلَ به شريعة الرحمن في

الحدود والقصاص والميراث، بل قانون المجرمين مِن اللوطيين الذي يُقال لهم كذباً بالمثلِّيِّين «يُسمونها بغير اسمها»، ومثله قانون إباحة الربا البنكي كل هذه ترتكز إلى الأُسس التي يُطلقها الفقهاء الجُدد ضدَّ الجهاد والمجاهدين، ولكن لأنَّ مثل هذه القضايا مُؤجلة في داخل الصف المسلم لانشغال العالم بالسدِّ الأول الذي يقف أمام مشاريع الكافرين، أي سد الجهاد والمجاهدين فإذا انهار هذا السد كان سهلاً أن يذهب إلى غيره، وبنفس الأُسس التي تعامل بها الفُقهاء الجُدد مع المجاهدين، لأنَّ قانون التأويل إنْ فُتِحَ فلا يمكن ضبطه مهما حاول المُعممون إيجاد موانع لاضطراده وتعميمه، فإذا كان الجهاد اليوم ممنوعاً لمعنى من معاني النفوس وأهوائها، فما الذي يمنع تعميم هذا المعنى ليجعل اللواط حلالاً.

نعم، إنَّ نفوس المسلمين اليوم لا تقبل حِلَّ اللواط، لكنها وقد قبلت حل الربا على ما يقوله بعض المجرمين من كبار المُفتين فليس غريباً أن يكبر الخرق وقد فُتح، إذ عظيم النَّار من مُستصغر الشرر، ولذلك، فوالذي رفع السماء بغير عمدٍ إن فضل المجاهدين اليوم في المشرق والمغرب أعظم مِن أن تحيط به الكلمات، وإن لهم دَيْناً في عُنُقِ كلِّ مسلمٍ ومسلمة، فلولاهم لَطرقت بيوت المسلمين بالزنا كما طُرقت بُطونهم بالربا، ولَكان أعظم إنكارِ الرجل على ابنته وقد دخل إليها عشيقها إلى بيته معها أن يغض طَرفه.

فاللهم اجْزِ المجاهدين خير الجزاء، وارفع درجتهم في عليِّين، وأبقهم وقادتهم ذُخراً للإسلام والمسلمين، واحشرنا يوم القيامة معهم وعلى حُبهم.

بَقِيَتْ قضية الأسلوب، وهو أنَّ المرءَ يشعر بنزول مرتبةِ كلامه حين يتقمص دور الراوي للأحداث، فإنَّ القارئ المُتخصص سيحس بالفَرْقِ بين ما يقرؤه عن قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن، وبين رواية ما يقوله المُعاصرون اليوم من كلماتٍ منحرفةٍ، فالأول مقبول في الوسط العِلمي سواء وافقه القارئ أم خالفه، أما الثاني فكأنه من عوالم السيرك، يختلط فيها الجدل بالهزل، والرواية بالخيال،

وهذا غير معروفٍ في الوسط العلمي، وقد كنتُ أتمنى أن أكتبَ هذا الفصل عن خط الانحراف وقد ملكتُ الوثائق لأذكرَ الكلام كما هو دون تدخل مني، لكن ماذا أفعل وأنا هنا لا أملك إلاَّ المصحف بين يدي، فمن أجل هذا فإني أقبل تهمة «كتابة الرواية والتمثيل» مقابل ما ستحقق هذه الطريقة من فوائد في ظني، فالمقصد هو الدفاع عنِ القرآن، وعن أهله المُعاصرين اليوم الذين أصابتهم سِهام الجهل كما أصابتهم قذائف الأعداء، فلم يُنصفوا، بل إنَّ المخالفين لهم يتحدونهم بأن يخرجوا من «جُحورهم»، وهم يعلمون أنها ليست جحوراً بل أربطة جهاد عجزوا همْ عنها، وبعض ممن لا يستحيي يزعم أنه حاورهم في السجون وتمت السيَّاط فلم يستطيعوا أن يجيبوه.

إن خرج هذا الكتاب في ظرفٍ استثنائي كظرف اليوم سأسمحُ لنفسي أن أُبقيه مفتوحاً ليوم يستقرُ فيه المرء على حالٍ، يزيد فيه ويُعدل، وحتى يأتي هذا اليوم سأسمحُ لغيري أن نضيف عليه مما يسمح من خط الانحراف ضدَّ الفعل الإبراهيمي الرشيد، لأنَّ القارئ النجيب سيرى من عجائبهم الكثير التي تخالف هدي القرآن الكريم.

ختاماً أسأل الله العظيم أن يغفرَ لي خطئي، وأن يجبرَ كسري وضُعفي، وأن يُبارك لي فيما أكتبُ وأقول. آمين.

أبو قتادة

عمر بن محمود أبو عمر

الفَصْلُ الأَوَّلُ



قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم

سورة «الأنبياء» وسورة «الصافات» سورتان مكيتان، أي تعالجان الدعوة والدَّاعي في مكة المكرمة، حيث كان رسول الله ﷺ يطلب النَّاصر، ويدعو الضَّال للهُدى، ويعيشُ وسطَ المُشركين، ويرى أنصبة الشرك قائمة أمامه في الكعبة وفي بيوت النَّاس وفي أماكن قصدهم، وكان هو وأصحابه في حالة استضعافٍ شديدٍ، ينتقلون مِن محنَّةٍ إلى محنَّةٍ، وكل خيارات قُريش ضدَّهم مفتوحة، وهم لا يملكون أمامها سوى ما يوجد من نظام التدافع العقلي في مكة، فتقع عليهم بعض الحِماية من خِلاله، وقريش لم تكن تحتاج إلى بواعث لتزيد عذابها وضغطها ضدهم، فمجرد وُجودهم بدعوتهم وتميُّزهم عنها كافٍ لقتل بعضهم، والتفكير في القتل دائماً، كما في التفكير في الحبس والقيد والإكراه على العودة لدينهم وعباداتهم.

كانتِ السور التي تحمل قصص الأنبياء السابقين عليهم السلام تُعطيهم ثقةً بأنَّ النَّصر آتٍ، فعليهم في مكة تنزل آية سورة «القمر»: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥]، كما قوله في سورة «الإسراء»: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦]، وكذلك قوله في سورة «الأحقاف»: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، وكذلك قوله في سورة «الصافات» التي بين أيدينا: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٧]، وقوله في سورة «ص»:

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: ١١]، وقوله تعالى في سورة «الأنبياء»: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦]، وقوله في سورة «إبراهيم»: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]. وغير التي تُبيِّنُ واقع النَّصر القادم وعداً من الله تعالى ولن يتخلف.

ومع قصص الأنبياء كان القُدوة، وذلك بأخذ القَدر المُلائم لواقعهم مِن فِعْلِ المهتدين السابقين، فتوجه رسول الله ﷺ بدعوته إلى عُظماء مكة كما توجه موسى عليه السلام إلى فرعون، وحذَّر قومه بما حذر الأنبياء السابقين، فكان يقرأ عليهم ما قاله الله فيهم، كما روى عبد بن حميد في «مسنده»[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْماً، فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ، وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ.

فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَداً غَيْرَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، وَفَضَحْتَنَا

[1] «منتخب عبد بن حُميد»: ١/٣٣٧/ح١١٢٣.

فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلاَّ مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى، أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى، أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ، جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلاً وَاحِدًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ، فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءَ قُرَيْشٍ شِئْتَ، فَلْنُزَوِّجَكَ عَشْراً.

فَقَالَ ﷺ: **فَرَغْتَ**؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ۝٢﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾.

فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ، حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟

قَالَ: **لاَ**.

فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ.

فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟

فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنْ تُكَلِّمُونَهُ إِلاَّ قَدْ كَلَّمْتُهُ.

قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لاَ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً ـ أي الكعبة ـ، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾.

قَالُوا: وَيْلَكَ، يُكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ لاَ تَدْرِي مَا قَالَ؟

قَالَ: لاَ، وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ».

قال ابن كثير: وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في «مسنده»[1]، ورواه غيره بألفاظ أخرى[2].

وكان مما قصه الله على رسوله في هذا الوضع قصة أبيه إبراهيم عليه السلام وكسره للأصنام، وهو فِعْلٌ ماديٌّ ضدَّ معبودات قومه، وقد جرَّ هذا الفِعْلُ المادي على أبي الأنبياء أُموراً من البلاء، لم يكن واحداً منها يحقق الهداية لقومه، بل زادهم صلابة في باطلهم، ودفعهم إلى مزيد ضلالٍ وإجرامٍ ضدَّ إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ تجاوزوا العقبة بأن أرادوا قتله.



---

1 «مسند أبي يعلى»: ١١/٢٠٣/ح١٨١٨.

2 «مصنف ابن أبي شيبة»: ٨/٤٤٠/ح٣٢٣٤٩. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٦/١٦/ح٩٨٢٤. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه: الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. «المطالب العالية» لابن حجر: ٨/٥٢٥. «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للبُوصيري: ٦/٣٠٥.

إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

من المعلوم أنَّ القرآن قصَّ علينا سيرة إبراهيم الخليل فتىً، وقصها علينا كهلاً، وسيرة إبراهيم عليه السلام تُساق مرات في سياق قدوم الملائكة عليه مروراً بالبُشرى في ولده إسحق عليه السلام إلى هلاك قوم لوطٍ عليه السلام كما في سورة «هود» حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠] وكذلك ذكرت في هذا السياق في سورة «الذاريات» كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤]... إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٣١ـ ٣٢].. إلى قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٧]. وفي سورة «الحجر» كذلك ذكرت قصة في نفس السياق ـ أي سياق مجيء الملائكة لتدمير قوم لوط ـ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحجر: ٥١]. وذكرت قصة مع قومه دون ذكر حادثة كسر الأصنام في سورة «الشعراء» كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٩].. إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٢]، دون ذكر السياق السابق.

وقد ذُكرت قصَّة إبراهيم عليه السلام مع قومه في موطن آخرٍ وهي سورة «الزخرف» في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧].

وكذلك في سورة «العنكبوت» في قوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٦].. وفيها ذُكر كذلك مرور الملائكة عليه لتدمير قوم لوط.

وأما باقي المواطن في القرآن فهي حديثٌ عنه، وعن أفعاله وأقواله وأدعيته، وإبراهيم عليه السلام في هذا الباب ـ أي باب الحديث عن جانبه الشخصي ـ هو أكثر الأنبياء ذِكراً في القرآن الكريم، فقد تحدثت سورة «البقرة» عنه في ثلاثة مواطن: **الأول** من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ... ﴾ [البقرة: ١٢٤]، **والثاني** في محاجته للطاغية في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، **والثالث**: سؤاله عليه السلام لربِّه أن يُريه كيف يحيي الموتى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. وفي سورة «آل عمران» ذكر في موطنين **أولاهما**: بيان أولى النَّاس به ودينه الذي كان عليه في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ... ﴾ [آل عمران: ٦٥]، **وثاني**: الأمر باتباع ملته في قوله تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وفي سورة «إبراهيم» تحدثتِ السورة عن أدعيته العظيمة، وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي سورة «النحل» اختتمتِ السورة بالحديث عنه، وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠] ... إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣].

وفي سورة «الأنعام» حديثٌ عن حِواره العظيم وهو يرى ملكوت السماوات والأرض، وذلك من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ

إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤]...إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد ذكر أمر تطهيره البيت الحرام وشرائع الحج في سورة «الحج»، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ...﴾ [الحج: ٢٦].

وفي سورة «مريم» ذكر أمر نصائحه لأبيه وتحذيره من الشرك، ثم ما مَنَّ الله تعالى عليه، وذلك في قوله تعالى﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١]. وقد ذكر الله أمرَ مِلَّته وتوحيده وبراءته مع المؤمنين به من قومه المُشركين في سورة «الممتحنة»، وذلك في قوله تعالى﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

فإبراهيم عليه السلام شخصية ثرية بالعِبرة، دعوة وعبادة وسيرة كما يعرضها القرآن الكريم، وهي تستحقُ أن يُفرد لها كلامٌ طويلٌ يهتدي به الدَّاعي والعابد والمُهاجر والمُبتلى، وكذلك الفتى والكهل، والابن الأب، ولذلك فمع عموم الأمر للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام بالإقتداء بالأنبياء السابقين كما تقدم في سورة «الأنعام»، إلا أنَّ الله خصَّ إبراهيم بالذكر في سورة «النحل» فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهذا التفصيل القرآني لحياة إبراهيم العملية الدعوية والنسكية تملآن الأمر بالاقتداء ولا شك.

من هذا السرد المُتقدم لأخبار الخليل إبراهيم عليه السلام يتبين لنا أنَّ السور المكية لم تقتصر على ذِكر خبر إبراهيم مع قومه بل ذكرت عبادته ونُسكه وأدعيته، فسورة «إبراهيم» مكية وليس فيها إلاَّ أدعية إبراهيم عليه السلام، وكذلك «النحل» مكية وفيها الشهادة له بالتوحيد والإمامة، والسور المدنية التي

ذُكر فيها عليه الصلاة والسلام هي «البقرة»، وأهل التفسير يجعلون ذِكره في الموطن الأول هناك مقدمة لتغيِّير القِبلة، وسورة «آل عمران»، وحديث الموطنين فيها هو بيان حاله وإمامته عليه الصلاة والسلام.

وسورة «الحج» وفيها بيان لبعض مناسك الحج التي كانت شِرعةً لإبراهيم عليه السلام مِن قبل، فتكون هذه السور المدنية حاوية أكثر ما يكون لقضية البيت الحرام وارتباطه بالتوحيد والنُّسُكِ وردِ ادعاءات المُخالفين للإسلام من أهل الكتاب والمُشركين في صِلتهم بإبراهيم عليه السلام، وتبقى سورة «الممتحنة» وهي مدنية وقضيتها تتعلَّقُ بتوحيد إبراهيم ومَن معه في براءتهم من قومهم وأصنام قومهم وعبادة قومه، والدعوة إلى الإقتداء به في ذلك، لأنَّ هذا هو موضوع سورة «الممتحنة».

وهناك أمرٌ آخرٌ يبرز في هذا العرض هو تكرر الأمر بالإقتداء به عليه الصلاة والسلام، كما في سورة «البقرة»، وسورة «الأنعام»، وسورة «النحل»، وسورة «الممتحنة»، وهذه خصوصية زائدة لخليل الله تعالى إبراهيم عليه السلام ويحق له ذلك، فإنَّ الله لما يذكر موكب الأنبياء في مواطن عِدة إنما يبدأ به كما في قوله تعالى في سورة «البقرة»: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ...﴾ [البقرة: ١٣٦]. صلى الله على نبينا وعلى جميع الأنبياء المُرسلين.

فائدة: في سورة «التوبة» ذكر اللهُ إبراهيمَ عَليه السلام ليرد وجه الاحتجاج بفِعله في استغفاره لأبيه الذي وعده إيَّاه كما في سورة «الممتحنة» ﴿ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة: ٤]، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤ - ١١٥]. وهذا الأمر فيه بيان اقتداء رسول الله ﷺ بأبيه في الفِعل، فإنه جرى على سنته في استغفاره لعمه لما رأى أباه استغفر لآزر، وهذا القدر هو ما يلزمنا هنا

وهو أنَّ الحبيب المُصطفى كان مُقتدياً بإبراهيم عليه السلام ويتعقبه كما أمر الله تعالى.



إبراهيم عليه الصلاة والسلام مُحاوراً

شخصية هذا النَّبي العظيم تتسم بصفات خاصة كما يعرضها القرآن الكريم، ومن الأُمور التي تكرر ذِكرها عنه هو قوة عارضة حُجته، واستخدامه الحوار والُمناقشة لبيان حقيقة التوحيد ورد الشرك، وهذا في مواطن عِدة في القرآن الكريم.

ففي سورة «البقرة» جرى هذا الحوار القُدوة مع الطاغية في بيان وحدانية الخالق الُمهيمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٨] الآية.

وفي سورة «الأنعام» تابع قومه ظاهراً ولفظاً في ادعاءاتهم الباطلة في ربوبية الكواكب والنُّجوم ليحقق لهم صِدق الهداية التي تقوم على إفساد عقائدهم، ومدح الله حجته وطريقته بقوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣]. وقد أخطأ الأستاذان أبو الحسن الندوي وسيد قطب رحمهما الله تعالى حين عرضا هذا الحوار تحت عنوان: «إبراهيم يبحث عن إله»، فإنَّ الآية ترد هذا الفهم وتبيِّنُ أنَّ هذا من قبيل الحُجة والجِدال والحسن، وليس شكاً ولا حِيرة ولا بحثاً عن حقيقةٍ غائبةٍ في نفس إبراهيم عليه السلام.

وفي سورة «الشعراء» حاور قومه مجادلاً إيَّاهم عن آلهتهم الأرضية من الأوثان والأصنام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣].

وتعدد الآلهة التي أبطل عبادتها إبراهيم تدل على أنَّ قومه كانوا أصنافاً في هذا الباب، فمنهم مَن يعبد الكواكب والشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأصنام والأوثان.

وأما محاورته للطاغية في سورة «البقرة» في صفة الربِّ المحيي المُميت فإنها إما كانت اعتقاداً للطاغية في قومه، أو جرت مع غير طاغية قومه لتنقل إبراهيم عليه السلام وهجرته من بلده حتى دخل مصر ثم رحلاته إلى مكة، فأتى هذا الطاغية وحاوره.

وحادثة كسر الأصنام هي من هذا النسق الإبراهيمي المُهتدي، لأن إبراهيم أراد أموراً مُتعددةً من كسرها ومنها بيان بطلان نفعها وضررها، وعجزها عن حماية نفسها، لكن ليس هذا فقط بل أمور أخرى ستأتي إن شاء الله تعالى.



آيات حادثة كسر الأصنام

سورة «**الأنبياء**»:ـ

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ
ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن
تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ
فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟
إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ
كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا
صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٧٣].

سورة «**الصافات**»:ـ

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا
تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ
﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا

نَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣-١١٣].

وكما تبين الآيات أي سورة «الأنبياء» فيها تفصيل أكثر مما في سورة «الصافات»، مع ذِكْرِ أُمورٍ أُخرى في سورة «الصافات» لم تُذكر في سورة «الأنبياء»، لكن عماد القصة في سورة «الأنبياء».



هل كان إبراهيم نبياً حين كسر الأصنام؟
أم كان الحادث قبل نُبوته؟

يقول الله تعالى في سورة «الأنبياء»: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وقال تعالى على لسان قومه: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

هذا البحث ليس فيه كبير فائدة، لأنَّ الله مدح فِعله، وحكاه على سبيل الإقرار له، فسواء فَعله وحياً من الله تعالى بعد النُّبوة كما يرى ابن عباس كما روى عنه ابن أبي حاتم قوله: «ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾»[1]. أو كان غير نبي كما قال شعيب الجبائي أنَّ عمره كان إذ ذاك ست عشرة سنة[2]، ففِعله من قبيل الاجتهاد والهداية الربَّانية في صغره.

فهذا فِعْلٌ ممدوحٌ عظيمٌ قام به فتى مهدي رشيد.

✪☆✪☆✪

1 «تفسير القرآن العظيم» المشهور بـ«تفسير ابن كثير»: ٥/ ٣٠٦.

2 «تفسير البغوي»: ٣/ ٣٩٥. «تفسير البحر المديد»: ٤/ ٣٥٨.

استخدام خدعة الحرب في كسر الأصنام

قال تعالى على لسان الخليل: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٨ ـ ٨٩].

ذلك لما جاءه قومه ليخرج معه إلى مُرادهم أراد أن يصرفهم، فتفكر في ما يقوله لهم ليُبعدهم عنه، والعرب تقول لمن تفكر وتأمل: «نظر نظرة في النجوم» ذلك لأنَّ المُتفكر يلقي ببصره بعيداً إلى الأُفق أو السماء، فيبدو كأنه ينظر إلى النُّجوم يسألها الجواب، فيقولون: «نظر في النجوم». فإبراهيم عليه السلام فَكَرَ وأَعْمَلَ عقله ووسعه في طريقةٍ تصرفهم عنه، وكذلك كان فكره في طريقة يخلص قومه من هذه الجريمة الكبرى التي التصقوا فيها وهي عبادة الأصنام، ففكر في أمرين: **أولاهما** إطالة النظر في هدايته قومه، فبعد أن استقر رأيه على تحطيمه الأصنام فكر في كيفية صرف قومه عنه حتى يفعل الفعل الآتي.

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾: في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لم يَكذِب إبراهيمُ عليه السلامُ إلا ثلاث كذبات: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ في ذاتِ اللهِ عزَّ وجل: قولهُ:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٩]. **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. **وقال: بَينا هو ذات يومٍ وسارةُ إذ أتى على جَبّارٍ منَ الجبابرةِ، فقيلَ له: إن ها هنا رجلاً معهُ امرأة من أحسَنِ النَّاسِ، فأرسلَ إليهِ فسألهُ عنها فقال: مَن هذهِ؟ قال: أختي. فأتى سارةَ قال: يا سارةُ ليس على وَجهِ الأرض مؤمنٌ غيري وغيركِ، وإن هذا سألني عنكِ فأخبرتهُ أنَّكِ أُختي، فلا تكذِّبيني. فأرسلَ إليها، فلما دَخلَتْ عليهِ ذَهبَ يَتَناوَلُها بيدِهِ فأُخِذ. فقال: ادْعِي اللهَ لي ولا**

[1] «صحيح البخاري»: ٣/١٢٢٥/ح٣٢٩٣. «صحيح مسلم»: ١٥/١٠٤/ح٦٠٩٨.

أضرُّكِ، فدَعَتِ اللهَ فأُطلِقَ. ثمَّ تَناوَلها الثانية فأخِذَ مِثلَها أو أشدَّ، فقال: ادعي اللهَ لي ولا أضُرُّكِ، فدَعَت فأطلق. فدَعا بعضَ حَجَبتِهِ فقال: إِنكم لم تأتوني بإنسانٍ، إنما أتيتُموني بشيطان، فأخدَمَها هاجَرَ. فأَتَتْهُ وهو قائمٌ يُصلي، فأومأ بيدِه: مَهْيَمْ؟ قالت: ردَّ اللهُ كيدَ الكافرِ ـ أوِ الفاجرِ ـ في نَحرهِ، وأخدَمَ هاجَر.

قال أبو هريرةَ: تلك أمُّكم يا بني ماءِ السماء».

وهذه التي سماها الحبيب كذبات إنما هي من قبيل الحُجة أو المَعاريض كما هو بيِّنٌ، وما يهم هنا قول إبراهيم الخليل «إِنِّي سَقِيمٌ»، فإنَّ قوله هذا خِدعة نبويَّة لهم ليصرفهم عنه حتى يحقق مُراده، والنبي ﷺ يقول: «**الْحَرْبُ خَدْعَةٌ**»[1]، وهو باب في الشرع معروفٌ لا يُنكره إلاَّ أهل الورع البارد والجهل المقيم.



[1] «صحيح البخاري»: ٣/١١٠٢/ح٢٩٦٢. «صحيح مسلم»: ١٢/٣٨/ح٤٤٩٣، ح٤٤٩٤.

إبراهيم عليه السلام يُخبر عن مُراده في كيده للأصنام

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

بُغض الخليل للأصنام لم يجعله يُصرح ببُطلانها وفسادها فقط، لكنه ذهب إلى أكثر من ذلك، وهو التهديد بالكيد لها، وهذا الكيد يتضمن الإيذاء أو الكسر أو تلطيخها بالسوء والقذارة، وكل ذلك محتمل.

وهذا الفِعل دافِعه شدة البُغض، فهو لا يريد أن يكشفَ سِره، فلو أراد ذلك لكان قصده أن يمحوها ويتنبهوا لها حتى لا يقع لها الكيد الذي قاله، وهذا غير مُراده قطعاً، إنما تندفع من نفس المرء كلمات هو حريص على إخفائها في وقت تضغط على نفسه معاني قوية تدفع هذه الكلمات للظهور.

وبُغض إبراهيم الخليل لهذه الأصنام ظهر في طريقة كسرها ومخاطبتها إذ قال الله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩١ - ٩٣].

فخِاطبه عليه السلام لها على هذا الوجه يحمل دلالة الاستهزاء والبُغض، وطريقة الضرب باليمين أي بشدَّةٍ وقُوَّةٍ دليل على ذلك كذلك.

وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [الأنبياء: ٥٨]: أي قِطعاً صغيراً لا تبين عما كانت عليه من الصور.

✪☆✪☆✪

السُرعة والسِرية في فِعل إبراهيم عليه السلام

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ ﴾ [الصافات: ٩١].

﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ ﴾ [الصافات: ٩٣].

والروغ هو الذهاب سِراً وبسرعة، كما قال الله عنه في إحضاره طعاماً للملائكة ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ ﴾ [الذاريات: ٢٦]، وإنما ذهب سِراً حتى لا يُؤذيهم بصراخه في أهله أن يحضروا الطعام، وبسرعة حتى لا يُؤذيهم في انتظار الطعام وهم أهل سفر.

وههنا ذهب بسرعةٍ وسِراً حتى ينفذ فِعله فيهم، وكونه قطع الأصنام جُذاذاً لم يكن مانعاً مِن الفِعل السريع لأنه استخدم قُوته (باليمين)، وهو كذلك «فتى».



إبراهيم عليه السلام يُعلن غضبه مع الأصنام عند التكسير ويستهزئ بها

﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الصافات: ٩١].

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الصافات: ٩٢].

هذا الحوار المُنفرد بين إبراهيم عليه السلام والأصنام يدل بجلاءٍ مِقدار ما يكنه الخليل من بُغض نفسي وقلبي ضدَّ هذه الجمادات التي اتخِذت آلهة من دون الله من قِبل سُفهاء الخَلق من المُشركين، وهو حوارٌ لم يشهده معه أحدٌ حتى يُقال إنه أراد أن يكشفَ لهم عجزها وعدم قُدرتها على الفِعل، سواء الأكل أو الكلام، لكن هي حالة نفسيَّة ذاتيَّة، وهي انفعالات النفس المؤمنة أمام هذه الجهالات، وهذه الانفعالات لا تُعاب، على الرغم أنها حوارٌ ذاتي ومُغلق، لكن دافعها ما رُكب في قلب المؤمن من معاني حق وإيمان.



المحكمة

لما رجعَ المُشركون إلى أصنامهم فإذا هي حُطامُ أشبه بالأصل التي أُخذت منه، ووسطها كبيرُ الأصنام قائماً، وبدأ التساؤل عن الفاعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩﴾ [الأنبياء: ٥٩].

لم يَدُمِ التساؤل طويلاً بل قال بعضهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ [الأنبياء: ٦٠].

هذا القول يدل أنَّ هذا الفتى ليس مشهوراً، ولا معروفاً في أوساط المُتسائلين، فقد مكَّروا صِفته إذ هو مجرد «فتى» ولم يُشيروا إلى اسمٍ يتداولونه على وجه المعرفة والتبيُّن، بل هو «يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ»، فلا والده مشهور لينسب إليه، ولا له تاريخ يُعرف به.

هل هذا الأقوى في ما تُشير له الآية، أم أنَّ الأمر على خِلاف ذلك، إذ أبوه كبير السَّدَنَةِ كما يقولون، وبالتالي لم يكن هذا اللفظ إلا احتقاراً منهم حتى لا ترتجف أيديهم في البطش عند محاكمته؟

النفس تميل إلى القول الأول والله أعلم.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ [الأنبياء: ٦١].

لقد بلغ غباؤهم وطغيانهم (الاثنان) قمتهما وهم يحضرون إبراهيم «عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ، أما غباؤهم فإنَّ الدَّاعيَّ إلى الله يبذل جُهوداً مَضنيةً للوصول إلى النَّاس، وإحضار النَّاس جميعاً لدعوتهم هو مُراده، كما كان طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يكون التحدي يوم الزينة كما في سورة «طه»، وكان همّ قريش طيلة مكوث النَّبي ﷺ في مكة أن يمنعوه من مجرد الالتقاء بالنَّاس والحديث معهم

كما قال تعالى عنهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]، والقصص في هذا مشهورة منها قصة الطُفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه فإنهم قالوا له: «يا طُفيل إنك قدمتَ بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا، قد عضل بنا وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا أخشى عليك وعلى قومك، فإن دخل عليك فلا تكلمه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ولا أُكلمه حتى حشوتُ أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه...»[١].

بل كانوا يُؤذون من يسمع منه ويقترب منه وقصة إسلام أبي ذر الغفاري تشهد لذلك وقصته في «صحيح البخاري»[٢] في مواطن منها باب إسلام أبي ذر.

لكن قد لا يكون الغباء لكن إضلال الله لهم، فإنَّ العاصي لربِّه، والكافر به غير مهدي، إذ مهما أتقن أمره فإنَّ كيد الله تعالى له بالمرصاد، وههنا أضلهم الله تعالى وأتوا بإبراهيم عليه السلام على أعين النَّاس لعلَّهم يشهدون.

أما سبب هذا الغباء والإضلال فهو الحقد الأعمى، والغيظ اللذان يملآن القلوب، والغرور الذي يدفع صاحبه لتجاوز السنن ظاناً أنه أقوى منها.

إنهم أرادوا أن يرى النَّاس قُدرتهم على البطش وأخذ المُخالف، وأنْ يرتدع الشاهد فلا يمدح لإبراهيم عليه السلام فِعله.

ويمكن ـ وهو بعيد ـ أن يظهروا عدلهم في تقرير الحُكم الذي سيأخذونه ضدَّ المُتهم.

---

[1] «معرفة الصحابة» للأصبهاني: ٣/ ٨٣.

[2] «صحيح البخاري»: ٣/ ١٤٠١/ح٣٧٧٤، ٣/ ١٢٩٤/ح٣٤٤٦. و«صحيح مسلم»: ١٦/ ٢٨/ح٦٣١٥.

أحضر إبراهيم عليه السلام وبدأ الاستنطاق

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

هذا استنطاقٌ كان ممزُوجاً بالترهيب كما قال تعالى: ﴿ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الصافات: ٩٤] أي مُسرعين، فهم يتعادون عدواً ليحضروه، ومن جاء لخصمه على هذه الحالة فلن يأخذه آمناً هانِئاً، بل سيشده شداً سريعاً إلى حيث الطلب.

أما ذكرهم لاسمه فهو استدراجٌ منهم أن يقول: نعم. فهي كلمات أقرب للين داخل الترهيب، وهذا أسلوبٌ معلومٌ للقوم المجرمين، حيث تصنع أجواء الرعب والخوف، ثم يُلَيَّن الكلام استنزافاً للمسؤول حتى يقول ما يُريده خصمه، فهو رعب مع لين ملمس، كما هو شأن الأفعى

فرد إبراهيم عليه السلام ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

هذا جواب رجل ثابت الجأش، قوي الفؤاد، حاضر الحجة، متمكن من خصمه رغم كل الحال الذي يحيط به وحيداً أمام جموع الملأ المجرم العاتي، وأمام العيون المُصوبة إليه من الحشود التي تراقب.

إن الأكبر الأجوف الأخرس قائم مكانه في صدر المكان المدنّس بالرجس.

إنه الفاعل له الآمر!!

فإن أردتم الدليل: «فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ».

في هذا جمعٌ للباقي الأخرس، والمحطم الذاهب المُفتت، فكلاهما في باب الفِعلِ سواء، فإن كان الكبير لا يكسر ولا يحطم، فإن حاله في بقائه على صورته صنماً لا تختلف عن حال المحطم إلى حجارة، فهذا الصنم الباقي لا يفعل حتى في

صورته، وهذا المحطّم الذاهب لا يتكلم حتى من آلام جِراحه بعد تكسيره، ولا من فعل به هذا الفعل.

الحق كان في القوم بقية عقلٍ وإدراكٍ لأنهم ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

هذا القول قد يكون قول الجميع مَن تكلم ومَن سكت أي قول بعضهم باللسان، وقول بعضهم بالقلب، وقد يكون قول بعضهم ممن فيهم بقية حِكمةٍ وتعقُلٍ، لأنَّ مِن أسلوب القرآن أن يتكلم عنِ البعض بهذه الصفة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وإنما هو قول رجلٍ واحدٍ، وكذلك في قوله تعالى في حادثة حُنين: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ ﴾ [التوبة: ٢٥] وإنما هو البعض.

هؤلاء أدركوا صواب الخطاب فطأطؤوا رؤوسهم خجلاً من الجهل الذي ساروا عليه، والباطل الذي سلكوه، فقالوا: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

هم لم يكونوا ينطقون في صورتهم أصناماً فكيف ينطقون الآن تُراباً وجُذاذاً؟! ولو كانوا ينطقون لكانت فيهم صفة الحياة، والحي يُدافع عنه نفسه، وما داموا جُذاذاً وتُراباً فدل أنَّ الأمر لم يختلف.

لقد قالوا هذه الكلمات على خَجَلٍ وحياءٍ، فهم لا يقدرون أن يُواجهوا خطاب هذا الفتى، ولا أن يصرخوا به ولا أن يسكتوه.

لكن هل كانوا قبل ذلك في جهلٍ من هذه الحقيقة؟ أبداً، هم يعلمون الأمر لكنّه استمراءُ الأباطيل، والعيش في كنف الأوهام يلغيان البصيرة والعقل والتدبير.

لقد كانت حُجتهم الوحيدة في خطابهم مع إبراهيم قبل ذلك: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٣]، وفي سورة «الشعراء»: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٤].

إنَّ هذه الحجة ما زالت سارية في البشر منذ القِدم إلى يومنا هذا، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

لنترك هذه القضية الآن مع أنها تحتاج إلى بسطٍ وشرحٍ ومزيدَ بيانٍ لكشفِ واقعها المُعاصر اليوم.

حينها انطلق الخليل في إقامة الحجة عليهم:-

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٦- ٦٧].

انتهى الحوار وانتهتِ المحكمة، وآب الناكسون على رؤوسهم إلى شياطينهم، واحمرت أُنوفهم، فهذا الفتى لم يعتذر، ولم يُعلن أنه مُذنبٌ، ولم يخفف حرارة خِطابه، بل تجاوز هذا الخطاب من سبِّ الآلة إلى سبِّ العابدين ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وهو سبٌّ يُرمى في وجوههم كِفاحاً لا من وراء ستارٍ ولا مِن خلال رسولٍ.

في سورة «الصافات» كلامٌ آخرٌ جرى مجرى هذه الوقعة:-

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

والذي يميل إليه القلب أنَّ هذا الحوار في سورة «الصافات» هو الذي جرى أولاً، لأنه يُناسب قولهم: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، لأنَّ الحديث كان يدور حول الأصنام وسؤالهم والقدر على جوابهم، ثم تحول

الحديث حول نفعهم وضررهم. فلما رأى الخليل عليه السلام إصرارهم على الباطل، قال لهم ما قاله الله تعالى في سورة «الأنبياء».

لم يحتمل القوم الخسارة، ولم يهتدوا بنور الحجة، بل ذهبوا إلى الانتصار للباطل.

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وفي سورة «العنكبوت» قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وفي سورة «الصافات» قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات: ٩٧].

والآيات تدل أنَّ الذي قِيلَ أولاً هو ما في «العنكبوت» ثم ما في «الأنبياء» ثم ما في «الصافات».

فهم ترددوا في ما يفعلون به ﴿ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ ﴾.

ثمَّ حسموا أمرهم بالتحريق لأنَّ هذا ما يُناسب نُصرة الآلهة.

فلما استقرَ أمرهم على ذلك نفخ الشيطان فيهم بأن يجعلوا النَّار التي يحرقون بها لها بُنيان عظيمٌ حتى تبدو جحيماً كبيراً، وقد علموا أنَّ كبر هذه النَّار سيمنعهم من طرحه طرحاً فيها بل سيضطروا إلى الرمي والإلقاء.

وقد فعلوا ذلك كله ولم يتوانوا.

فجاء الأمر الإلهي للنَّار ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فتم له النَّجاة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]. فوقعَ الحُكم الإلهي بأنهمُ الأخسرون، وأنَّ أمرهم وإن أجروه على ما يريدون من الكيد لكن كان حالهم السقوط والهزيمة.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء: ٧٠].

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ [الصافات: ٩٨].

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤﴾ [العنكبوت: ٢٤] كما في سورة «العنكبوت».

لقد خرج إبراهيم عليه السلام من النَّار سليماً معافىً ورد الله كيد المُشركين.



الخاتمة

لقد قرر إبراهيم الخليل الرحيل عن قومه، وحمل نفسه ذاهباً إلى ربِّه مهاجراً ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: ٩٩]. فخرج هو ولوط عليه السلام، هذا المؤمن الوحيد أمام كلِّ هذه الحِكمة النَّبويَّة الإبراهيمية الباهرة، وأمام كل هذه الآيات التي تَلِينُ لها الحجارة، فقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١].

لقد كسر الخليل الأصنام فما ازدادوا إلاَّ كفراً، وأنجاه الله من النَّار فلم يزدادوا إلى عُتُواً، وأما هو فلم يكن أمامه إلاَّ أن يحمل نفسه وزوجته ورفيقه تاركاً الوطن والأهل والوالد والمال إلى أرض أُخرى، هذه الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

هذه هي قصة إبراهيم عليه السلام مع كسر الأصنام، وكانت سبباً لأُمورٍ جرت له، رفعه الله بها، وحقق له الخير ما لم يخطط لنفسه، يقرؤها المؤمن بقلبٍ مهتديٍّ، فلا تذهب به ظنونه إلاَّ إلى حُبِّ الخليل، وحُبِّ فعله، وحَمْلِهِ على خير ما يقع من البشر مِن الفِعْلِ في هذا الحال الذي عاشه لأن إبراهيم ولا شك صاحبَ حِكْمِةٍ وحِلْمٍ.

فِعْلٌ مهتديٌّ، وبصيرةٌ نافذةٌ، لم يرد منه إلاَّ تحقيق التوحيد في الأرض بإقامة الحُجة على قومه حتى لو لم يهتدوا، لأن إتلاف النفس من أجل هداية المشركين منهيٌّ عنه كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر: ٢٣]، و﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢]، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ

مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس: ١٠٨ ـ ١٠٩]، وترك الحق مخافة المزيد من الإعراض غير رشيد، وترك كلمة الحق مخافة الضرر ليس سبيلاً لملة إبراهيم الخليل، وقطع حبال المشركين بعد إقامة الحجة لا يعني أنك أخطأت طريق الدُّعاة.

هذا فِعْلُ الخليل إبراهيم يُعْرَضُ في القرآن لِيَعْمَلَ به المؤمنون في وقتٍ مِن الأوقات، وسيقع لهم ما وقعَ على وجهِ المحنَّة والابتلاء، فقد يُقتلون، وقد يُطاردون فيها جروا، وقد يحبسون، لكن الفِعْلَ يبقى إيمانياً لا يطعن فيه إلاَّ جاهل.

هذا ما يقوله القرآن عن تكسير إبراهيم الخليل عليه السلام الأصنام فماذا سيقول اليوم خط الانحراف لو وقع اليوم.

إلى الصفحات القادمة لِيَعْلَمَ النَّاس الحق من خلال الباطل، فلضدِّها تتبيَّنُ الأشياء، والقول ما قاله الفاروق: «تنتقص عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».



الفَصْلُ الثَّانِي



موقف الفُقهاء الجُدد

لقد تم الحدث الإبراهيمي، وأحدث ضجة مدوية، واضطر بعض المشايخ والمفتين والخطباء إلى اجتماعٍ عاجلٍ لتدارس الموقف الشرعي منه، وقد دعي إلى الاجتماع هيئات العِلم المختلفة في البُلدان، واتحادات العلماء الموزعة في الأقطار ورؤساء المؤسسات الرسمية الشرعية، وبعد اجتماعات سريعة خرجوا بالدراسة التالية:ـ

بعد التداول الجاد، وكون هذا العمل قد قام به مسلمون، يدَّعون نُصرة الإسلام وإقامة الحجة، ويزعمون أنَّ فِعلَهُم حَسَنٌ ممدوحٌ في الشرع، وكون آثاره تتعدى على المسلمين جميعاً فإننا إبراءً للذمة، وبياناً للحقِّ نَعرض في هذه الدراسة موقفَ الشرع حتى يعرفَ النَّاس، مُسلمهم وكافرهم الحقَّ من الباطل.

إنَّ هذا الفِعْلَ الذي قام به شبابٌ مُبتدؤون ليس لهم رسوخٌ في العِلم، ولم يُعرف عنهم صفة علمية تُؤهلهم لمعرفة الحقِّ من الباطل عملٌ غير مشروع، ويتعارض مع الإسلام من وجوه عدة أهمها:ـ

١. لقد زعمَ الفاعلون أنهم يريدون بهذا نُصرة الإسلام وكيد الكافرين وتحقيق الأُجور بذلك، وهم ينسون أنَّ هذا الفِعل قد أساء لسُمْعَةِ الإسلام وسُمْعَةِ المسلمين، إذ أظهرهم بمظهر ضعيف الحجة الذي يعجز عن إثبات حقه بالبيَّان والدعوة والجِدال بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى فذهب يضرب ويؤذي، فعَلِمَ النَّاس من صنيعه هذا ضُعف حجته مما نفرهم من الإسلام والمسلمين، فلو سلك هؤلاء الفِتيان طريق الأنبياء كما قال الله لموسى وهارون وهما ذاهبان إلى أعتى كُفار الأرض في زمانه: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]،

لَكان في سلوكهم ما يجعل النَّاس يُقبلون على الإسلام ويحبونه، بدل أن ينتشر بُغضه والخوف منه وسبّه كما هو واقعٌ الآن بعد صنيعهم هذا.

إنَّ الكفار الذين آذوا هؤلاء الفِتية بعد هذا الفِعْلِ كانوا يجادلونهم ويحاورونهم ويسمعون منهم، بل قد تأكدنا أنهم كانوا يسمحون لهم بالدخول في أعيادهم ومعابدهم واحتفالاتهم، مما يدل أنَّ سبيل الدعوة لم تكن مُغلقة في وُجوههم، بل كانت مُيسرة، بل إنَّ بعضهم من له أقارب هم مِن عِلْيَةِ هؤلاء القوم، وقد جاء الخبر أنَّ أحدهم له والدٌ هو مقدم في قومه، وكان بينه وبين ابنه الفتى المُشارك بالفِعل حوارات تدل على اتساع صدر الآخرين في سماع حجة هؤلاء الفِتيان، ولكن قلَّةَ صبرهم، وشدَّة حماستهم التي كانت في غير موضعها، واستعجالهم البلاء قد دفعهم لهذا الأمر دون تبصر بالعواقب، ولذلك كانتِ النتيجة المُؤلمة حيث قرر أهل البلاد التوقف عن سماع الحقِّ، وعطلوا كلَّ المناظرات السابقة واتجهوا إلى البطش بالفِتية المُستعجلين كما رأينا.

كل هذا يدل أنَّ فِعْلَهُم يخالف القرآن والسنَّة ومقاصد الإسلام في هِداية الخَلق، ذلك لأنَّ فِعْلَهُم قد نشر البُغض للإسلام والمسلمين.

٢. إنَّ نتائج هذا الفِعْلِ ضدَّ الفِتيان الذين قاموا فيه تدل أنهم حققوا مقاصد المُتعصبين ضدَّ الإسلام، فهم كانوا يُطالبون دَوْماً بطرد المسلمين من البلاد، وها قد جاءتهمُ الفُرصة القوية والسانحة، حيث تمَّ طردهم وعطلهم عن محيطهم الدعوي، ولم يكن هذا لِيقع إلاَّ بسبب هذه الأفعال المادية المُؤذية، فلو اقتصرَ على الموعظة الحسنة كما كان الشأن سابقاً لما وجد هؤلاء المتعصبون ضدهم هذه الفرصة بطردهم وسجنهم ومُلاحقتهم، وقد رأينا أنَّ نتيجة هذا الفِعْلِ لم تقتصر عليهم بل لحقت بالمسلمين الذين أسلموا من قبل من خلال الموعظة الحسنة.

لقد حقق هؤلاء الفِتية المُتسرعون مُراد أعدائهم حيث عُزِلُوا عنِ الدعوة وعن محيطها، وأججوا المُتعصبين لإصدار القوانين الشديدة ضدهم.

٣. لقد أفسدَ هؤلاء الفِتية المُتسرعون أموالاً محترمة للآخرين، ومعلومٌ أنَّ بعض الفقهاء ـ وهم كُثُر ـ يرون أنَّ مثل هذه الأموال التي دمروها وخربوها هي أموال مصونة لا يجوز إتلافها، بل أوجبوا على مُتلفها الضمان، ولكن لقلَّة فقه هؤلاء الفِتيان الأغرار وعدم تعمقهم بمسائل الفقه ودفعهم لهذا الفِعل، بل علمنا أنَّ والدَ أحد هؤلاء الفِتية كان كسبه من هذه الأموال المُتلفة، أي إنَّ هذا الفتى كان يأكل ويشرب منها، واقتاتَ وعاشَ عليها، ثمَّ ها هو الآن يجازي والده هذا الجزاء العجيب الذي يتنافى مع أخلاق الإسلام.

لقد أتم هؤلاء الفِتيان بإفساد أموال الغير وهذا واضحٌ بيِّنٌ، أما قولهم: إنَّ هذه الأموال للكفار، أو قولهم إنها تُستخدم للصدِّ عن سبيل الله تعالى فهذا مردودٌ من وجوهٍ أهمها:ـ

⊙ إنَّ كونها للكفار لا يعني جواز إهلاكها، فهذا رسول الله ﷺ يترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وراءه عندما هاجر إلى المدينة ليؤدي للنَّاس أماناتهم، ولم يقل كما قال هؤلاء «الجهلة» إنَّ أموال الكُفار مُباحة، بل ولا يُعلم أنَّ رسول الله ﷺ فَعَلَ هذا الفِعْلَ في مكة وهو يعيش بين الأصنام التي كانت تحيط به من كل جوانب.

⊙ أما قولهم إنها أموالٌ تُستخدم للصدِّ عن سبيل الله تعالى فهذا تعميمٌ غير صحيح، لأنَّ بعض هذه الأموال هي أموالٌ خاصةٌ لأُناسٍ مدنيين لا دخل لهم (بالملأ) الذي يُعادي المسلمين ويحاربهم، وهؤلاء المدنيون مِن النَّاس العاديين هم الأكثر، فهم ليسوا جنوداً ولا مقاتلين، ولا يتبرعون بأموالهم في أمرٍ غير حاجاتهم الخاصة.

٤. لقد خدعَ هؤلاء الفِتية أهل البلاد، واستخدموا معهم وسائل غير أخلاقية في الوُصول إلى أهدافهم، فإنَّ أهل البلاد قد رغبوا فيهم أن يعيشوا معهم، بل ويفرحون فرحهم ويعيشون حياتهم، ولكن هؤلاء «المتسرعين» خانوا ذلك كله،

فاستغلوا طيبة أهل البلاد في تأمينهم وتركهم، فانقلبوا عليهم وفعلوا فِعلتهم المُنكرة، وهذا في الحقيقة يُفسر شدَّةَ الغضبِ الذي أصاب أصحاب القَرار فجعلهم يحكمون عليهم هذا الحُكم، لأنَّ النفوس مهما كانت فإنها تغضبُ من خِيانةِ مَن أمنته، ولذلك فمع قولنا إنَّ العقوبة كانت قاسية إلاَّ أننا نتفهم وجهها، مع أننا كنا نحب لهم أخذ جانب العفو كون الفاعلين فِتية ودوافعهم الحماس.

٥. مما يدلُّ على عدم حِكمة هؤلاء الفِتية أنهم لم يقتصروا في بياناتهم على المسائل العِلمية التي خالفوا فيها أهل البلاد، لكن من عجائب قولهم أنهم سبوا أهل البلاد سباً شخصياً، وأطلقوا عبارات شديدة كقولهم: «أُفٍ» وما شابه، والمعلوم أنَّ الدَّاعي يتجنب هذه الألفاظ طمعاً في إجابة المُخالف، إذ وجود هذه الألفاظ تُشَكِلُ حاجزاً لصدِّ الآخر عنِ القبول.

ثمَّ إن استخدام هذه العبارات في المحكمة كان مما زاد الأمر تعقيداً، فمع تدخل بعض الجهات منا ـ وهي لها احترام وتقدير في تلك البلاد ـ إلاَّ أنَّ استخدام هذه الألفاظ، والحدة التي جابهوا فيها القُضاة والمحلفين جعلتِ الأمور تزداد سوءاً وتعقيداً.

إننا هنا لا نُدافع عنِ الكُفر ولا عن عبادة الأصنام، لكننا نُدافع عن الإسلام الذي أُسيء له، وعن المسلمين الذين وقعَ عليهمُ الضرر بهذا الفِعل، بل عنِ الفاعلين أنفسهم، فإننا نعلم أنَّ دافعهم حسنٌ جيِّدٌ، لكن الفِعل لم يكن مُوافقاً لهذه الدوافع والنوايا، وفي الإسلام لا بدَّ من مُوافقة الفِعْلِ للنيَّة كما هو معلوم.

٦. ومِنَ المعلوم أنَّ أيَّ فِعْلٍ يجب مُراعاة جانب المصلحة والمفسدة فيه، وخاصة ما يقع على النفس والغير، فمع ما تقدم من مفسدة إساءة سُمْعَةِ الإسلام والمسلمين، وهذا إلغاء لمصلحة عُظمى في الإسلام، بل هي من أعظم المصالح به أي تقريب النَّاس للإسلام، ألاَّ أنَّ المفسدة التي لحقت بعائلاتهم وبأصدقائهم كانت كبيرة، فقد شردت عائلاتهم مع مَن حُكِمَ عليهم بالطرد من البلاد، وقد

وقعتِ النِّساء في الجوع والخوف، وقد تأكد الخبر لدينا أنَّ أحد هؤلاء وقع مع زوجته في يد بعض قطاعي الطريق وكادوا يغتصبون زوجته لولا أن تداركته رحمة الله تعالى، فلو تفكر هؤلاء الفتية الأغرار في عاقبة فِعلهم على عائلاتهم لما فعلوا هذا الفِعل المُستهتر المُستعجل، هذا مع ما تمَّ من إغلاق أماكن العبادة الإسلامية الأخرى عندما طرد المسلمون من البلاد.

في الختام:

توصياتنا!

- إننا ندعو الشباب المُلتزم إلى التزام العلماء والثقات، وعدم الانجرار وراء الفتاوى التي تُطلق من هنا وهناك من غير المجامع المشهود لها والمعروفة، لأنَّ انتشار الصِّغار المجهولين وادعائهم الفتوى هو سبب هذه المصائب الكُبرى التي تلحقُ بالأُمة، إذ شيوخ هؤلاء غير معروفين لهذه المجامع العلمية العالمية، وكون الواحد منهم دارساً للفقه لا يعني أنه صاحب قُدرة فقهية للنوازل الكُبرى التي تخص الأمة.
- إننا ندعو الحكومات إلى مُصالحة شعوبها والعمل على فتح أبواب العيش الكريم لها، لأنَّ انتشار الفساد في البلاد هو ما يُقوي نَزعة التطرف والعُنف عند الشباب، وإننا في هذه التوصية لا بدَّ أنْ نُشيد بالجهود التي يبذلها حُكام هذه البلاد بجهودهم الخيِّرة في هذا الباب، ويكفيهم شرفاً أنهم رعوا مثل هذا اللقاء العلمي الحاشد.
- إننا ندعو نبذ أفكار التكفير والعُنف، وخاصة من بعض المؤلفات التي شاع أمرها، وندعو أهل العلم إلى الرد عليها وبيان ما فيها من أخطاء بطريقة علمية، لأنَّ الفكر لا يُناقش إلاَّ بالفكر.

☆☆☆☆☆

مجلة «....» التقت مع أحد العلماء الذين حضروا الاجتماع العلمي، وهو مع صفته التمثيلية لأنه رئيس رابطة اتحاد الصوفية إلاَّ أنه لم يظهر اسمه بين المُوقعين على البيان.

من أجل عدم إدراج اسمه في البيان كان هذا اللقاء

□ هل يمكن أن تُعَرِّفَنَا عن سبب عدم ظهور توقيعك على البيَّان، مع أنك من أوائل الحضور، بل والدَّاعين لهذا الاجتماع لمناقشة الحادثة الخطيرة؟

❍ نعم أنا ورفاقي في الإتحاد سعينا منذ البداية لتحقيق حالة إجماع ضدَّ هذا الحادث، لأننا رأيناه نهاية مُفجعة لمدرسةٍ طالما ضررنا منها، ولما طالبنا مناقشة أفكار ومنهج هذه المدرسة المُنحرفة، وإدراج خُطورتها، وأنها السبب الحقيقي وراء هذه الأعمال التخريبية ورفض الحضور طلبنا فاضطررنا للانسحاب أنا وإخواني.

□ هل لكَ أن تشرح ما هي ملاحظاتك على هذه المدرسة؟

❍ هذه مدرسةٌ تكفيريةٌ، تسبُّ عمومَ النَّاس، وتتهمهم بالشرك، فمجرد تعليق تمثالٍ يُذكركَ بالماضين، ويشحنُ هِمتك لاقتفاء بعملهم، أو الاحتفال عندهم في مناسبات وطنية أو دينية يُسمون هذا شركاً، ويكفرون فاعِله، ونحن ضدَّ هذا الخط، فنحن لا نُكفر إلاَّ مَن يقول بوضوحٍ: أنا كافرٌ، أما مَن يعتقد بوجود الله فهذا لا يجوز لنا أن نُكفره، فهذه التي يُسمُّونها أصناماً، هي كذلك عند بعض الجهلة، لكن نحن وغيرنا نأتي إليها في الأعياد والاحتفالات والمناسبات لأننا نشعر في حضرتها بهيبة أصحابها، فيأخذنا الخشوع، ثم إنَّ الناس يتخذون هذا وسيلة لإطعام الطعام والفرح والبهجة.

نحن أردنا أن نُدين مدرسة التكفير، وهي التي أفرزت فِتية التفجير، وهم الذين جروا على هذه البلاد الخراب، ولكن للأسف فإنَّ الآخرين رفضوا هذا، وأنا أعتقد أنَّ رفض الكثير منهم له أسباب سياسية أو بسبب علاقات عامة، من أجل هذا رفضتُ التوقيع.

□ لكن هل لك اعتراضات عِلمية على البيان؟

❍ نحن اعتراضنا على توصيفهم لهؤلاء الفِتية أنهم اجتهدوا فأخطئوا، هذا ليس اجتهاداً، ولا يجوز أن يُسمى اجتهاداً، هذا تكفير للعقائد، الاجتهاد في المسائل العلمية لكن هذا تكفير.

□ أنت قلتَ إنَّ البعض يعتبرها أصناماً، هل يعني أنَّ هؤلاء عندك غير مسلمين؟

❍ لا...لا. أنا أقول بعض الجهلة يقولون أنها أصنام، لكن في الحقيقة هي تراث فقط، وأنا أُصر على أنَّ هذه فرصة قوية تشرح حقيقة هذه المدرسة، وهي فرصة لبيان انحرافها وخُطورتها على النَّاس جميعاً، وقد كنا نقول هذا فلم يكن يُسمع لنا، لكن هذه هي النتيجة، تدمير تراث، فيه فوائد سياحية، ومَوْرِد رزقٍ لكثيرٍ من النَّاس، وفتن عارمة.

☆☆☆☆☆

مقال في جريدة «.....» الدولية للكاتب الصحفي «.....»

في البداية أُريد أن اعترفَ أني أخطأتُ، ومع أني في هذه الصناعة أي مراقبة الحوادث والكتابة عنها سنين طويلة، ولكني أخطأتُ.

أنا أعلم أنَّ كلامي لا يُقدم ولا يُؤخر، فأنا مجرد صحفي.

أما سبب اعترافي بالخطأ، فهو أني كنتُ أظن أنَّ هؤلاء الفِتية الذين فعلوها هم أصغر من أن يأتوا بشيءٍ يقلب العالم رأساً على عَقِبٍ، فأنا لم آخذ أبداً تهديداتهم محمل الجد، لأنهم مجرد «ظاهرة صوتية» كما كان يقول عمنا القُصيبي.

نعم فَعلها هؤلاء المجرمون، وقلبوا الموازين، ومع أنهم لا عقلَ لهم، ولا دين كذلك «أنا لستُ مُفتياً ولا عالماً بالشريعة لكني علمتُ أنَّ الذي يحفظ آخر ثلاث سور من القرآن كأنه حفظ القرآن، ثمَّ إني أفهم أنَّ الدين لا يتعارض مع مشاعر الإنسان».

أقول: مع أنَّ هؤلاء لا عقلَ لهم، ولا دين إلاَّ أنهم خططوا بإحكامٍ، لكنه إحكام الشياطين، وأساءوا للإسلام أكثر من الليكوديين في المهجر.

لقد ضربوا الإسلام في الصميم، وأفسدوا كل الجهود التي تبذلها الدول والمؤسسات والعلماء الصادقين من أجل تحسين صورة الإسلام في العالم.

نعم، أنا طُول عُمْرِي ضدَّ الغرب وسياسته، لكن هذه المرة أنا مع الغرب ضدَّ هؤلاء المُتوحشين، الذين لا يفهمون إلا لغة «البلطجة» و«الفأس» و«التفجير»، من أمثال أبو شجرة، وأبو راس، وأبو الموت، بل أنا في الحقيقة مع أي أحدٍ ضدَّ هؤلاء.

أعترفُ أني أخطأتُ، وكان تقديري لهم غير صحيح، لقد فعلوها حتى صار يُؤرخ بفعلهم «ما قبل كسر الأصنام وما بعدها»، لن ننعمَ بعد اليوم في رحلاتي في الطائرة بسكين معدني، لأنَّ العربي اليوم متهم، ووجود سكين في جيبه أو في يده يعني أنه سيكسر رأس من أمامه، وهذه هي أول جرائمهم ضدي.

لقد ذهبت قيمة أي جواز نحمله بعد اليوم، لأنَّ أشكالنا هي التي ستجعلنا تحت المراقبة و«البهدلة».

الأمر عاجل جداً لإصلاح تداعيات هذه الجريمة الكبرى، وأنا مطمئنٌ إلى حِكمة الملك «....» في رد التهمة عن المسلمين، وبيان أنَّ الدعوة تكون بالحكمة، ولذلك ما قام به من دعوة عالمية للحوار بين الأديان هي الحل الأمثل لمعالجة هذه التداعيات.

لا أُريد أنْ أكتب في هذا الموضوع لأني أظن أنَّ العلماء هم من يحق لهم تولي الرد على هؤلاء الصِّغار الذين أفسدوا صورة الإسلام في العالم.

للذكر هؤلاء يحرمون شراء حلويات الأطفال التي على شكل أرنب أو دب، ولذلك لا عجبَ أن نصبح أُضحوكة للعالم، بل إنَّ اختيارهم ليوم العيد، وهو يوم تسامح وفرح يدل على أن هؤلاء مرضى يكرهون كل مباهج الحياة.

☆☆☆☆☆

جُذاذات أخبار الصحف

في جريدة «....» اليومية كان هذا الخبر

«أعد وزير الداخلية أنَّ «المجرمين» الذين قاموا بالغفلة الشنيعة هم أعداء الوطن وأفراحه، وهم أعداء الدين والتسامح، وتابع قائلاً: «ونحن إذ كنا نفتح معهم باب الحوار بالحُسنى طمعاً في إقناعهم إلا أنهم ظنوا أنَّ هذا التسامح والحسنى هو من باب الضُعف، فتجرؤوا على فِعلتهم الإجرامية، ولذلك سنُوقع بهم وبمن يلوذ بهم أشدَّ العِقاب، ولن نجعلهم يقرون في مكان حتى نشغلهم بأنفسهم.

وسُئِلَ الوزير عن أي دليلٍ يُشير إلى ارتباطهم بجهات أجنبية فأجاب: «أنَّ هذا الفعل الخطير لا يمكن أن يكون صادراً من شباب وفِتية، بل هو أمرٌ عظيمٌ وراءه ـ قطعاً ـ جهات أكبر منهم استغلتهم لأهدافها».

وفي سؤال حول تأثير هذا الفِعل على فتح باب الحوار مع آخرين لم ينتهجوا سبيل التحطيم والتكسير فرد: «لا شك أنَّ هذا الفِعل سيكون له تبعاته على كلِّ من يخالف توجه الدولة، لكن هذا لا يعني إلغاء القانون، ولكن نحن سندرس الثغرات التي دخل هؤلاء «المجرمون» منها، ولا شك أنه كان هناك حالة استرخاء هي التي سهلت لهم الجريمة».

وفي سياقٍ آخرٍ أشارت بعض المعلومات أنَّ الجهة التي يقصدها الوزير ربما تكون المصانع التي أنتجت التماثيل، إذ تُشير بعض التقارير إلى أنَّ حالة الكساد أصابت هذه المصانع بالركود، خاصة أنَّ بعض المواد تُستورد من الخارج، فدفع هؤلاء الشباب لهذا الفِعل تنشيطاً للمصانع التي تنشط في صنع الرموز والتماثيل الدينية والتاريخية.

وللرد على هذه التهمة فإنَّ والد أحد هؤلاء الفاعلين وهو مسؤول أحد المصانع نفى هذا جملةً وتفصيلاً، وقال: «أُطالب الحكومة بالتدخل لرد هذه التهمة عني، لأنَّ الكل يعلم أني من أشدِّ المُعارضين لابني، بل قد قدَّمتُ ضدَّه بلاغات عِدة للمسؤولين، مما يدل على نفي هذه التهم».

☆☆☆☆☆

تقرير لصحفي في جريدة «....» الأسبوعية

لقد قررتُ أن أذهبَ بعيداً عن المُعلن، مع أني أعلمُ أني أخوض في المحرمات، فالأمن والأجهزة الأمنية بقرى مقدسة في بلادنا، لكن الحقيقة لا تعترف بالمقدَّس كما يقولون، خاصة أن هذا المقدس «الأجهزة الأمنية» قد فشل في الحِفاظ على الأمن، ووقعت تلك الجريمة الكُبرى التي هزت النفوس والمشاعر، وتساءل النَّاس بصراحة ولأول مرة وعلانية كيف؟ ولماذا؟

كيف وقع هذا؟ هكذا يتساءلون لأنهم يعلمون أنَّ مَن قام بهذا العمل ليس خفياً، بل نواياه كانت ظاهرة، وتشهد لهذا مجامع كثيرة في محيطه أنه هدد وتوعد، وأنذر أنَّ هذا المكان سيكيد له يوماً، فكيف سكتتِ الأجهزة الأمنية والتي تعد على النَّاس أنفاسهم، وتراقب حرماتهم ونومهم وقيامهم؟!

هل هناك مؤامرة؟ هل هو التقصير؟

سواء اخترنا الأولى أو الثاني فيجب المحاسبة.

نحن لا نُطالب بكبش الفِداء، فنحن نطلب الحقيقة ثم الجزاء، هكذا يقول عموم النَّاس في هذا البلد الطيب الذي ضُرب وهزت مشاعره في أيام فرحه وأعراسه الدينية والوطنية.

الصدمة كبيرة، والحدث أكبر، ولذلك يجب الإجابة.

هل هناك مؤامرة؟

هناك مَن يقول نعم، ويستشهدون بأمور عدة، أن كراهية «المجرمين» للأُطر الدينية والوطنية أمرٌ معلومٌ مُشتهرٌ، فخُطبهم صريحة، وتهديداتهم بالكيد لها مكشوفة معلومة، فزعم الأجهزة الأمنية أنها فُوجئت كما صرح وزير الداخلية غير مقبول، فهي تُراقب ما هو أقل من ذلك بكثير، وتُلاحق بقوة كل المعارضين في البلاد.

الأمر الثاني: لقد بيَّنتِ التحقيقات أنَّ الفاعلين قد أخذوا وقتاً كافياً في داخل المكان المُستهدف، إذ تبيَّن أنهم تكلموا وتحاوروا، بل واستهزؤوا وجعلوا يطلقون عبارات التحقير للمخلوقات والتراث، بل والأغرب من ذلك أنهم جعلوا يعرضون الطعام عليها ويقولون بعبارات صريحة «ألا تأكلون»، ثمَّ إن طريقة التحطيم كانت مُتقنة حيث جعلت المكان كأنه لم يكن من قبل إلاَّ كبير

المنحوتات، وهذا يبعد فيه عدم سماع الأصوات لهم، وعدم التدبير من داخل المكان لهم، فمن هو هذا الذي أعانهم؟

هذا سؤال يحتاج إلى إجابة، لأنه ولا شك ستطيح به رؤوس.

مَنِ المُستفيد من ذلك؟

المستفيدون هم مَن يُشار إليهم أنهم وراء هذا الفِعل.

ـ إنهمُ الشركات الكُبرى التي كسدت بضاعتها وتريد أن تُعيد فتح الأسواق لتعمل مصانعها في إنتاج هذه المصنوعات، وقد دلَّ الأمر على هذا ما وقع بعد الحدث، إذ أنَّ ردة الفِعل الشعبية ضدَّ تكسير المنحوتات هو الإقبال الشديد على شرائها، حيث صار التهادي بها للزائرين والسيَّاح، ومن كان مقتنياً واحداً صار في بيته اثنين وثلاثة بل وأكثر، أما المنحوتات الكبرى فإنَّ الملايين الكثيرة قد رصدت لإعادتها من جديد؛ أكبر وأجمل وأمتن.

ـ إنهم شركات الحراسة التي سيسعى الجميع إلى استئجارها لمنع تحطيم ما يقتنون من منحوتات وتراث، وقد نشط هذا المجال من العمل بطريقة الفطر.

هذا اقتراب من عِلية القوم لكن من حقِّ النَّاس أن يعلموا الأمر على حقيقته.

الشفافية وتكوين لجنة محايدة للتحقيق في الفِعل هي ما ترضي المتسائلين

☆☆☆☆☆

أجزاء من لقاء تلفزيوني مع العلامة الشيخ «....» بعنوان: «الشريعة وكسر الأصنام»

المُقدم: لقد خصصنا هذه الحلقة لموضوع الساعة الأبرز والأهم، إنه كما يُسميه فاعلوه «كسر الأصنام» ومع أنني في البداية أُعلن أن قناتنا التلفزيونية تنقل الكلام

كما يُقال فهي لا تتبنى وجهة نظر، بل تنقل رأي المُعارضين والمُوافقين، فحين نقول: «كسر الأصنام» إنما هو لما يقولونه هم وليس رأياً لنا في القناة، ولا رأي مقدم البرنامج.

في البداية أُرحب بالعلامة الشيخ «....» وأسأله عن رأيه في الحدث؟

الشيخ: نحن أصدرنا بياناً مع أهل العلم المُختصين بخصوص هذا الحادث، وبيَّنا فيه الموقف الشرعي، ورددنا على حُجج الفاعلين، وللذكر هؤلاء لا يُعرف عنهم أي تخصص في الشريعة، بل هم فِتيان، ولا يُدركون عواقب فِعلهم، ولو رجعوا لأهل العلم والخِبرة قبل فِعلتهم لما وقعوا في هذا الخطأ الشنيع، وهم يقولون أنَّ عندهم علماء خاصين بهم، وأنا أقول لهؤلاء أن يخرجوا من جُحورهم حتى يعرفهم النَّاس، فقد مَلَلْنَا من أفعالهم وتجاوزاتهم.

المُقدم: السؤال هو هل أنتم ضدَّ الفِعل أصلاً أم أنَّ الفِعْلَ صحيحٌ، ولكن تحكمون عليه بالغلط بسبب المفاسد والمصالح؟

الشيخ: بلا شك أنَّ المصالح والمفاسد مُعتبرة في الشرع، وهناك الإمام الشاطبي الذي جعل الشريعة كلها مَبنية على قاعدة المصالح والمفاسد، بل إنَّ الإمام الطوفي جعل المصالح والمفاسد أصلاً يحتكم إليه، حتى على خلافِ النص، فنحن عندما حكمنا على الفِعل أنه غير شرعي، ولا يجوز أن يُنسب للإسلام إنما حكمنا عليه بحسب قواعد الشرع، ومفاسد هذا الفِعل واضحة وبيِّنة.

المُقدم: نحن سنتكلم بعد قليلٍ عنِ المفاسد التي أتى بها هذا الفِعل، لكن هناك من يقول: إنَّ الشيخ يُؤيد تكسير الأصنام في مكانٍ ولا يؤيدها في مكانٍ آخرٍ.

الشيخ: علينا أنْ نعرف بين الأجنبي الذي يجبرنا على أعماله، وبين هذا العمل إن كان اختياراً منا، فأنا ضد المحتل الأجنبي، حتى إني أدعو دائماً لمقاطعة مُنتجاته، لكن هذا الفِعل في بلادنا يجب مُعالجته بطريقة أخرى غير التكسير

والتحطيم والتفجير، ثمَّ علينا أن نُراعي الفَرْقَ بين حالة الاستضعاف وحالة القوة، فالبُعْدُ الذي وقعت فيه الحادثة معلومٌ أنَّ المسلمين فيه قِلَّة، ولذلك هم في دار دعوة، يعني لا يجوز لهم أي عمل مادي، فهذه سير الرسول ﷺ في مكة، يعني هناك في هذه البلاد لا يكاد المرء يحفظ دينه وهم يزيدون البلاء شدة على المسلمين بهذه الأفعال.

المُقدم: حتى سمعنا أنكَ مُنِعْتَ أنتَ من دخول تلك البلاد بعد هذا الحادث؟

الشيخ: نعم هذا صحيحٌ، وبهذا حُرِمَ النَّاس مِن خيرٍ عظيمٍ، فمنعت الدعوة والدَّعاة، وقد طردوا عشرات المسلمين بل المئات، ووقع النَّاس في بلاءٍ عظيم.

جريمة هؤلاء لم تقع آثارها عليهم بل حتى على الآخرين من المسلمين الذين يعيشون هناك من أجل لقمة الخبز.

المُقدم: كيف كنت تستقبل أنت في تلك البلاد قبل الحادث؟

الشيخ: المُشكلة ليست فيّ ولكن في دعاة كثيرين كذلك، فقد كنا نُستقبل حتى في برلماناتهم، ونُدعى إلى احتفالاتهم، وهناك بعض أعضاء الهيئة العلمية التي تشكلت في الغرب كان يحضر في مناسبات كثيرة لهم ويطلبون منه قراءة القرآن كجزء من الاحتفال، لكن كل هذا الآن قد تغيَّر كما تعلم.

المُقدم: لكن هنا من يقول إنه بسبب الحادث صار النَّاس يتساءلون عن هذا الدين الذي يحول هؤلاء الشباب إلى هذه الطاقة التي تتحدى العالم؟

الشيخ: هؤلاء قِلَّة، الصورة الأكبر هي انتشار فكرة مغايرة عن الإسلام، أي أنه إسلام همجي، لا يعترف بالحوار، ولا يحترم أديان الآخرين ولا اعتقاداتهم.

المُقدم: فضيلة الشيخ أريد أن أستغل هذا اللقاء لتوضيح مسألة: وهذا أن البعض اتهمكم أنكم أفتيتم بجواز قتل هؤلاء باعتبارهم مفسدين في الأرض.

الشيخ: هذه الفتوى لها ظُروفها، وقد حملها البعض على غير محملها، فنحن مع مخالفتنا لأفعال هؤلاء الشباب إلاَّ أننا نُدافع عنهم ونحب لهم الخير، لكن البعض طرح موضوع مصلحة المسلمين في تلك البلاد، وقالوا لو أننا أعلنا عن موافقتنا للعقوبة التي وقعت عليهم من أجل عدم طرد المسلمين فماذا نختار، فقلنا لهم مصلحة المسلمين العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، ومع ذلك فقد طالبنا المسلمين بأن يستخدموا المعاريض في هذا الباب.

المُقدم: لكن يا شيخ هناك من المسلمين من اشترك في ضربهم وإيذائهم وقتلهم وإلقاء المواد المُشتعلة عليهم أخذاً بفتواكم؟

الشيخ: لا...لا... هذا خطأ ومعصية، وأنا أُكرر الفتوى لها ظروفها وأقصى ما سمحنا له فقط هو جواز قطع الأشجار وحملها مع أهل البلد إلى مكان الإحراق، وأما مباشرة رمي الخشب والمواد المُشتعلة فهذا لم نقل به، ومع ذلك في الحقيقة فإنَّ هذه الفتوى لها ظُروفها الخاصة عندما رأينا شدة الألم والعذاب الذي وقع على هؤلاء الأغرار المساكين.

يا أخي في الحقيقة هذا الفعل الذي قام به هؤلاء الفِتية كان عظيماً، ولذلك وقعت هذه التداعيات الكبيرة.

☆☆☆☆☆

جُذاذة صحيفة «تراجعات تائب»

عضو مجلس الشورى لجماعة الفِتيان انقلب على رِفاقه الأمس، وأعلن تراجعه عنِ الفكر الضال الذي اعترف فيه أنه كان خيانة للوطن ولأهله الذين عاش بينهم وأحبهم.

هذه التوبة كما يقول سببها إدراكه الآثار التي وصل إليها فكر التكفير الذي ظنَّه في البداية أنه الدين الصحيح، لكنه اكتشفَ أنَّ السَّبب في هذه الأفعال ليس الدين، بل العامل النفسي.

عضو مجلس الشورى السابق يقول أنَّ دراسته السابقة في علم النفس هي التي جعلته يمدد بواعث تكسير الأصنام، فالطريقة التي تم فيها الحادث تدل على قضايا نفسية وشعورية أكثر منها فكرية وعقائدية، ويستشهد بما تبثه بعض القنوات من تسجيل الحوادث التي تمت بين المهاجمين والأصنام.

يقول التائب: هذه حوارات انفعالية هي أقرب إلى المرض منها إلى الوعي، وقد كنتُ أشعر بهذا من بعض أفراد الجماعة، لكن لم أكن أظن أنَّ المسألة لهذه الدرجة من العُمق عندهم، ثم إن اختيارهم يوم الفرح والزينة والاحتفالات يدل على أنَّ مُرادهم الشهرة وتحقيق الانتشار أكثر من نشر الفكر والوعي.

التائب ينفي التأييد الأجنبي للحادث، ويقول: إنَّ القول بالارتباطات الخارجية لهؤلاء الشباب قولٌ غلط يدل على عدم معرفة بهم، فأنا لا أتهمهم بنواياهم لكن المشكلة في عدم معرفتهم بالأولويات، فأنا ضد أي مهاجمة أهداف وطنية، لأنها في النهاية ذخر للأُمة، فهذه المؤسسات التي دُمرت ليست ملك الحكومة ولا هي ملك أشخاص، بل هي ملك الأُمة، فتدميرها هو إفساد لأموال الأمة.

التائب يُؤكد أنَّ الجماعة قادرة على مثل هذه الضربات الشديدة، ولكن حرب العصابات تُؤكد أنَّ فِعلهم غير صحيح، فهذا العمل بمثل هذا الحجم ما كان يقدم عليه أي قائد لأيِّ حركةٍ مسلحةٍ، لأنه فرضَ على الخصم أن يدخل بقوته ضدَّ الجماعة بل ضدَّ أصدقائها، وهذا في فن الحروب غير مقبول.

أما عن توقعاته بتراجع فكر الجماعة بعد الضربات التي وُجِهَتْ لها فنفى هذا التراجع، بل قال إنَّ الكثير منهم هرب وسيقوم هؤلاء ببث أفكارهم في المحيط الجديد الذي سيحلون فيه.

☆☆☆☆☆

بيان حزب إسلامي بمناسبة حادثة تكسير الأصنام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لقد كثرتِ التساؤلات حول موقف الحزب من حادثة تكسير الأصنام، وعلى الرغم من وضوح منهجنا في الكتب التي تنشر المنهج النَّبوي الذي سار عليه الرسول ﷺ في بناء الدولة الإسلامية من خلال الكُتلى الفِكرية والتي من شروطها عدم ممارسة أي فعلٍ ماديٍّ، بل هذه الكُتلة تمارس الفكر فقط، ولذلك فإنَّ الحزب يُؤكد أنَّ حادثة كسر الأصنام تخالف المنهج النَّبوي في بناء الدولة الإسلامية.

لقد بيَّنا مِراراً أنَّ هناك فَرْقاً بين الأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر وبين الجهاد في سبيل الله تعالى، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عملٌ بين المسلمين فقط، والجهاد إنما يكون بإعلان الإمام، ولذلك فهذا العمل خارج الأمرين، وهذا كله من المشاكل التي يُعاني منها الفكر الإسلامي، فإنَّ تبني الأُمة للخلافة، والعمل على إعادتها في الأرض من خلال الكُتلة الفِكرية هو الذي يحقق للمسلمين طرف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحقق لهم الجهاد في سبيل الله تعالى، لكن استعجال هؤلاء الشباب لهذا الفِعل في وقت نشر الفكر وتفاعله داخل المجتمع هو الذي يحقق للخصم فرصة للقضاء على أفراد الحزب.

إننا ندعو المسلمين جميعاً إلى إحياء فكرة الخلافة الإسلامية من خلال الكُتلة الفكرية والتي من شروطها اجتناب أي فعلٍ ماديٍّ، بل يقتصر فِعلها على الدعوة وطلب النُّصرة حتى تتحقق دولة الإسلام.

إننا حزبٌ سياسيٌّ مبدؤه الإسلام، ويدعو إلى إقامة الخلافة الإسلامية الجامعة من خلال الصِّراع الفكري، يرفض اعتماد الأساليب المادية وذلك لمخالفتها الطريقة النَّبويَّة.

لقد صرح الشيخ «....» مؤسس حزبنا مِراراً أنَّ هناك محاولات عدة لجر الحزب إلى الفتوى، أو الدخول في أعمال مادية ولكن نجح الحزب في تجاوزها.

إن حزبنا لن يتحول إلى هذه الأعمال مع شدة القمع التي يتلقاها من الأنظمة العميلة.

☆☆☆☆☆

مُوجز عن كتاب «الطريقة المُثلى لإسقاط الأصنام»

هذا كتابٌ فريدٌ من نوعه، بذل فيه الشيخ «....» جُهداً مميَّزاً في تأليفه، إذ استخدم النصوص الشرعية والمحاورات الفعلية لإثبات المنهج العلمي والشرعي في كسر الأصنام، ولذلك فقد استطاع المؤلف أن يحوز على إعجاب اللجنة العلمية لجائزة الملك «....» في دراسات السنَّة النَّبويَّة بحيث قررت منحه جائزة العام التي تسلمها في الاحتفال السنوي.

الشيخ يقول إنه فُوجئ في اختياره لهذه الجائزة، لأنه لم يتقدم لها أصلاً، لكن المعروف أنه ليس من شروط الجائزة أن يتقدم المؤلف بنفسه لنيلها، بل ربما يُرشح من قِبل أفراد أو مؤسسات، لكن الشيخ استدرك قائلاً: إنه يعتز بهذه الجائزة

ويعتبرها تقديراً للجهود التي بذلها في نصح الشباب في الابتعاد عن المناهج المستوردة، فهو كما يقول يعتقد أن هذه الأفعال من التكسير والتخريب هي من تأثر الفكر الإسلامي المعاصر من الأحزاب العلمانية التي تسير على درب الثورات الدموية.

في لقاء سريع على هامش تسلم للجائزة صرح إنَّ قبول المؤسسة الحاكمة لكلامه حول التماثيل والمنحوتات يدل على سِعة صدرها وأنها تقبل الرأي المُخالف لا كما يزعم أصحاب الفكر المُستورد، لكنهم يرفضون أي ممارسة مادية، بل ويُصرحون أنه إذا استطاع الدُّعاة إقناع النَّاس بإزالة هذه المنحوتات التراثية فلن تتردد الحكومات في ذلك، لكنها ترفض أن تدخل في عملٍ يؤدي إلى فتنٍ بين الشعب الواحد.

يقول الشيخ: هذا مفتاح الكتاب، وهو البحث عن طريقة نُكسر بها الأصنام من نفوس النَّاس حتى يحطمونها هم بأيديهم.

الشيخ لا يتردد في تسميتها أصناماً، ويرفض الهروب من هذا الاسم، وهذا ما يجعل كلامه نصف مقبول عند الحكومة ونصف مقبول ضدَّ الجماعة، فهو يلتقي معهم في الاسم ويختلف في الأسلوب.

ويُصرح الشيخ أنَّ الحكومة أكدت له مِراراً أنها لا تريد أن تدخل في سِجالٍ فقهيٍّ في شرعية الأصنام أو عدم شرعيتها، لكنها معنية بالقانون، وهو الضرب بيدٍ من حديدٍ على من يُكفر أو يكسر.

يقول الشيخ في كتابه: «إن المنهج النَّبوي في بناء النفوس هو الأهم، لأنَّ الأصنام لو كُسرت اليوم دون أن تُبنى النفوس فإنها ستعود غداً، وسيشيدها أصحاب أقوى وأكبر وأجمل»، ويقول: «إنَّ الواقع قد أكد هذا، ولذلك فإنَّ النبي ﷺ مكث ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة يدعو إلى الله بالحِكمة، ويتحمل الأذى من قريش، ورفضَ أن يدخل في مُواجهة مع قريش تستأصل المسلمين

لِقِلَّتِهم وضُعفهم، بل رفضَ النَّبي ﷺ أن يدعو عليهم كما ثبت في صحيح البخاري رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى.

والشيخ يرد على الذين يقولون إنَّ مصلحة التوحيد مقدمة على مصلحة النفوس، إذ يقول إنَّ تكسير الأصنام والأعمال المادية أضاعتِ الدين وأضاعت النفوس، إذ اتخذت هذه الأعمال حُجة من قِبل الأنظمة لضرب الدُّعاة ومُلاحقة الإسلام نفسه، فبذلك لم تتحقق مصلحة الدين كما يزعم هؤلاء الشباب الصغار.

ويُكرر الشيخ إنَّ الصبر هو أساس عمل الداعي وعدم الاستعجال، فقلَّة صبر المستعجلين ينطبق عليهم قول القائل: «من استعجل الشيء قبل أوانه عُوقِب بحرمانه» وهكذا ثم فقد استعجلوا كسر الأصنام بأيديهم فكانتِ النتيجة قتلهم وتشريدهم مع بقاء الأصنام كما هي، ولو أنَّ هؤلاء المُستعجلين استشاروا العلماء الحكماء لما أتواْ بهذا العمل العظيم، أما قولهم: إنَّ العلماء لهم عشرات السنين في أماكنهم هذه فلم يصنعوا شيئاً، فغر صحيح إذ بقاء الأمر على ما هو عليه خير من القفز في المجهول والذهاب إلى الانتحار وقتل النفس.

أما اتهام الشباب لهؤلاء العلماء بالجبن والتخاذل فهذا مبناه على الحماسة وقلَّة البصيرة بالعواقب، وهذا الفَرق بين حكمة الشيوخ وحماس الشباب.

☆☆☆☆☆

جُذاذة صحيفة «سيكولوجية العنف»

الدكتور «....» أستاذ علمِ النفس والاجتماع أصدر ورقة علمية شرح فيها نمطية الشخصية «الإرهابية»، وسبب اختيارها العنف وسيلة لفرض الفكر بدل الحوار والجدال بالحسنى، قال فيها:ـ

«تُشكل الرضات النفسية التي تنشأ بسبب أحداث مبكرة طفولية، أو بسبب بيئة تربوية تشيد بالذكورة وتوابعها من فحولة وقوة عاملاً مهماً في اختيارات المرء للعنف في حل مشاكله الفكرية مع الآخرين، مع أنَّ الفكر بناء يشاد من خلال الكلمة إلاَّ أنَّ التصور التاريخي لقيمة القوة تلغي أهمية الكلمة ومشتقاتها.

ما هي الرضة النفسية؟

الطفل في المجتمعات الشرقية مقهور بسلطة الأب، مقموع في اختياراته، حتى إنه ممنوع من إظهار ضعفه، فإن بكى صرخ فيه أبوه: أنتَ رجلٌ لا تبكي، وإذا أراد أن يُناقش والده أو أخاه الأكبر اعتبر نقاشه قِلَّة أدب وتجاوز للتقاليد، بهذا تموت مَلكة الحوار، كما ماتت مَلكة إظهار المشاعر.

ولما كانتِ المشاعر حالة إنسانية فلا بدَّ مِن أن تظهر بشكلٍ من الأشكال، وبالتالي سيشير إلى اتجاه وراثة ما وقع عليه، فهو سيقمع أخته (على اعتبار المجتمع الشرقي مجتمع ذكوري)، وسيقمع كذلك أخاه الأصغر، وهكذا تترسخ نفسية القمع والعنف في داخل هذه البيئات.

التقاليد وبعض الإرث الديني الذي يسوقه بعض الخُطباء والمدرسين من خلال آيات قرآنية أو أحاديث نبويَّة شريفة تختار خارج سياقها يتم اختبار الوسائل العنيفة، فالحديث الذي يقول: «من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده» لا يفهمونه فهماً جيداً لأن حديث: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» يدل أنَّ الغضب الذي يحرك اليد للفعل العنيف هو مظهر ضعف لا مظهر قوة.

نحن لا نُنكر انسداد أُفق التغيِّير، بل وانسداد منافذ التعبير في بعض البلاد، لكن اختيار العنف في البلد الذي وقع فيه فِعلُ تكسير الأصنام، وهو بلد متسامح، كان يدعى فيه هؤلاء لحضور الاحتفالات والتجمعات، يدل على أن المشكلة نفسية وليست بيئية، وهذا ليس خاصاً بالمسلمين إنما اختيار طريق العنف حالة

نفسية موجودة في المجتمعات ذات التقاليد التي تعظم دور الرجل القويم على رجل الفكر والكتابة.

الموسيقي والممثل والمغني يُقال له في هذه البيئات لا عمل له، يعني أنه لا يمارس فعلاً مهماً، مع أنه في البيئات الحضارية والمُتطورة هؤلاء همُ النجوم والأبطال، ولذلك فلا عجبَ أن يُقال عن الإنسان الذي يقول كلاماً غير نافع ولا مهم أنه يتفلسف، لأنَّ الفلسفة عندهم عملٌ فارغٌ ولا أهمية له، بل هو عمل الأغبياء والعاطلين.

ستبقى هذه البيئات تفرز هذا النوع حتى يتم المادة فهم التراث وبناء البيئة الاجتماعية بناءً نفسياً سليماً معافىً، وأنا لا أُلغي الجانب الأمني من المُعالجة لكن الجانب التربوي يجب أن يسير مُوَازياً للجانب الأمني».

☆☆☆☆☆

المُفكر الإسلامي «....»
صاحب مذهب الصبر وكف الأيدي

نشر هذا المذهب في كُتب عِدة، ودعا إلى إحياء مذهب ابن آدم الأول القائل: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ ﴾ [المائدة: ٢٨]، ويقول: «إنَّ غاندي زعيم الهند هو مَن طبق هذا المذهب تطبيقاً صادقاً، واستطاع به تحقيق استقلال الهند من المحتلين».

علّق هذا الأستاذ على حادثة كسر الأصنام قائلاً:ـ

«من المعلوم أنَّ البشرية منذ مذهب ابن آدم الأول الذي ارتضى التضحية بنفسه دون أن يجابه القتل بالقتل قد مرت في أطوارٍ متعددةٍ، كلما كانت تختار القتل

والعنف والفِعل المادي في حلِّ مشاكلها، لكن هذا الاختيار كان يعقد المسائل ويزيد الحقد ويدفع دوماً للثأر.

هذه البشرية ما زالت في طَوْرِ الطفولة التي تتقاذف بالحجارة كالأطفال، والنَّبي يقول عن هذا إنه «الخذف»، وقد نهى عنه وقال: إنه لا يقتل العدو ويفقأ العين، فكل ما صنعته البشرية من حروب ضدَّ بعضها البعض لم يؤدِ إلى زوال أُمة، بل هي تضعف حيناً ثم لما تقوى تقوم فتنتقم من قائلها كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤] يعني إن فرعون قد قهرهم، فهل ستقومون أنتم بقهر خُصومكم عند تمكنكم؟ وللأسف هذا الذي يقع من هذا الطفل الذي لم يتعلم أنَّ العنف هو مذهب الضعفاء والأطفال.

الإنسان لم يهتدِ بعد طِوال هذه السنين من الابن الأول إلى يومنا هذا أن مُلامسة الشفقة والرحمة في الخصم هي التي تجعله يلقي سلاحه، فيتعانق الخصمان، ومُلامسة هذه الرحمة في الخصم تبدأ أول بإلقاء سلاحك أنتَ، ومهما قتل منك أو سجن عليك أن تصبر حتى تتفجر هذه الناحية الخفية التي طمست في الإنسان فيلقي هو سلاحه كذلك.

ستدفع البشرية ثمن هذا الاختيار لكن عاقبته مضمونة، وما ستدفعه سيكون أقل بكثير ما لو جابهت سلاح خصمك بسلاح مثله.

إنَّ المحنَّة ليست أن تُقاتل عدوَّك فإنْ هزمك رأيتَ أنك في محنَّة فترجو أجر الصبر، بلِ المحنة أن تصبر بعدم مُواجهة خصمك وتقبل أن تكون عبد الله المقتول لا عبد الله القاتل، وأن تذهب إلى السجن باختيارك لا لأنك هُزمت ففرض خصمك السجن عليك.

يجب أن يكون السجن أحب إليك من العنف، حتى تتحول السجون إلى محاشن تربوية نقهر بها نفوسنا، ونكتشف أنَّ أمراضنا الداخلية أشد علينا من ممارسة خصومنا ضدنا.

علينا أن نتعلم كيف نشكر خصومنا حين اكتشفنا بأعمالهم ضدنا من قتل وسجن أن نربي أنفسنا على الصبر، وسنكتشف بعد ذلك أنهم هم قد سلكوا نفس السبيل معنا.

العالم يتسع للجميع، لكن مرض الأثرة وحب القهر هو سبب الحروب، فلنكتشف أنَّ خصمنا ليس أسوأ منَّا، بل هو اليوم أقوى منَّا، ولو صرنا أقوياء لصنعنا صنيعه.

ملاحظة: اختِير هذا المقال كأفضل مقالٍ قصيرٍ في هذا العام لجائزة الصحافة الورقية.

☆☆☆☆☆

جُذاذات صحف

المُفتي الأكبر يحذر من إيواء المارقين

«في خطبة الجمعة حذر المفتي من الفئة المارقة التي تعيث في الأرض فساداً، وقال: إنهم لا يريدون بالبلد خيراً، وهم طائفة مشبوهة مرتبطة بدول ولا تريد بنا خيراً.

وقال: إنَّ الشرع أوجب على المسلمين التبليغ عن هؤلاء لدى الدولة حتى تتم معالجتهم بالطُرق السلمية، أما إيواؤهم والتستر عليهم فهو مشاركة بالإثم والعدوان.

وقال: نحن لا نُنكر أنَّ في البلد أخطاء مثل وجود البنوك التي تحارب الله ورسوله، ولا نُنكر أنَّ الدولة قد وقعت مواثيق وشرائع مخالفة للشرع، لكن كل هذه الأمور من القضايا الإدارية، إذ الدولة تسعى بكل جُهدها لتطبيق شرع الله في كلِّ شؤون الحياة، وهذا ما يجعل دولتنا مُستهدفة من قبل أعداء الدين، فالتستر على هؤلاء حرب لله ولرسوله ﷺ.

ومن المعلوم أنَّ كلمة الفئة المارقة تُطلق على أصحاب مذهب كسر الأصنام وتغيِّير المنكر باليد» انتهى.

☆☆☆☆☆

وفاة أحد المعتقلين في قضية كسر الأصنام

علمت «....» أنَّ أحد المعتقلين قد فارق الحياة، وقد سلمت جثته إلى ذويه، ونفى مصدر مسؤول أن يكون قد تعرض للتعذيب، بل الفحص الطبي أثبت أنه توفي جراء نوبة قلبية مُفاجئة، وشدد المصدر أن ما تناقلته بعض الصحف في دول أُخرى أنَّ التعذيب بالكهرباء هو سبب الوفاة غير صحيح وعار عن الصحة، وقد شهد ذووه أنه لا يوجد على الجسم أي آثار تعذيب أو كهرباء.

☆☆☆☆☆

حوارات داخل السجون

في زيارة صحيفة لمركز تثقيف وتأهيل المارقين تحولت جريدة «....» واطلعت على الخطوات العملية في معالجة الفكر المُنحرف، إذ استقدم العلماء والأطباء وأهل الخبرة والاختصاص.

البرنامج العلمي يتضمن بيان شروط الحِسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وأن كل هذه الأمور لا بدَّ لها من شروط شرعية أهمها النيَّة الصالحة وإذن ولي الأمر وإذن الوالدين وفتوى العلماء المُعتمدين، وقد تبيَّن أنَّ أكثر هؤلاء الشباب لا يعرف هذه الشروط، بل قد رُبوا على عدم احترام العلماء المعتمدين.

☆☆☆☆☆

مقطع من شريط مسجل

الشيخ «....» معروف بدعوته التي تقول إن صلاح الأمة لا يكون إلاَّ بالتربية، وأنَّ التعصب الفقهي هو سبب تخلفها وهزيمتها، وفي لقاء علمي بينه وبين مجموعة من طلبة العلم سئل الشيخ :-

☐ شيخنا ما رأيك بما يفعله هؤلاء الشباب من أعمال ويزعمون أنهم على منهج السلف؟

❍ كل ما يدعي وصلاً بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

ادعاء اتباع السلف يجب أن يكون فعلاً لا كلاماً، وقد علمتم اليوم أن الكل يدعي اتباع السلف، لكن هل هؤلاء يفهمون عقيدة السلف، فلو سألتهم اليوم أين الله؟ فهل يجيبوك كما أجابت الجارية زمن النبي ﷺ وأنه في السماء؟

نحن ندعو إلى تربية النَّاس حتى يصلوا إلى مرتبة الإيمان الحقيقي، لأنَّ الجهاد كما تعلمون أمرٌ إلهيٌّ للمؤمنين، ومن غير أن يصل النَّاس إلى مرتبة الإيمان فإن الأمر غير مكلفين به، وهذا أمرٌ معلوم، والإعداد للجهاد كذلك، ولذلك قبل الإعداد للجهاد، وقبل الجهاد الذي يزعمه هؤلاء ـ زعموا ـ فإن عليهم بلوغ مرتبة الإيمان، فهل بلغ هؤلاء هذه المرتبة حتى يعدوا للجهاد ويجاهدون؟

أنتم تعرفون أحوال النَّاس أكثر مني، ولذلك فدعوتهم للجهاد دعوة باطلة.

☆☆☆☆☆

رئيس جبهة الأحزاب الإسلامية «....»
صرح في لقاء شاملٍ معه بالتالي

نحن في الجبهة الإسلامية لنا برنامج سياسي معلوم واضح، يرفض العنف، لأننا نحترم الدستور، ونعمل من خلاله، وأنشطتنا سياسية اجتماعية ترفض الانجرار أمام قضايا أُخرى تُفرق المجتمع الواحد على أساس طائفي، لأنَّ حزبنا وجبهتنا وطنية شاملة لكلِّ أطياف المتجمع.

ـ نحن لا نتبرأ من أي طائفة يتشكل منها هذا المتجمع المعروف بانفتاحه وتنوعه، فقول بعضهم: «إنهم يبرؤون من كيت وكيت» غير مقبول عندنا، لأننا كلنا إخوان وشركاء في هذا الوطن.

ـ نحن نقول دائماً إنَّ قمع الجبهة المُعتدلة «من قبل السلطات» هو الذي يقوي خط «التكسير والتحطيم»، ولن يستطيع الوقوف أمام هؤلاء إلا الإسلام المُعتدل الذي نتبناه.

ـ نحن لا نُقاتل النَّاس على أساس الإيمان والكفر، بل إنَّ الشعوب تضطر للقتال حتى تسترد حقوقها، ولذلك ما تقوم به الجبهة في بعض البلاد إنما هو لرد الظلم وتحصيل الحقوق فقط.

ـ نحن لن نرفع «الفؤوس» يوماً، فهذا خط قد جرب في بلاد كثيرة وجر علينا المفاسد، ولذلك فهذا أمرٌ محسوم عندنا أننا أصحاب خط سلمي فقط.

ـ نحن لن نُكسر الأصنام لا اليوم ولا غداً، لأننا نُؤمن بالتعددية الثقافية والسياسية، والذين يتهموننا أننا سنغيِّر أسلوبنا حين بلوغنا السلطة هم أصحاب وهمٍ، وكثير منهم له أجندة سياسية لتخوفهم من قوة من الإسلام المُعتدل الذي نتبناه، فنحن نؤمن بالقاعدة القرآنية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وفهمنا للردة هي خروج الطوائف على نظام الدولة وليست تغيِّير الدين، وهذا منطقُ كل القوانين والشرائع المعاصرة أنَّ الخارج عن نظام الدولة بالسلاح والقوة يُقاتل حتى يعود لنظامها، وقد صرح بهذا كثير من العلماء في دراسات علمية عميقة.

ـ غير المسلمين إخواننا في الوطن، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، فالدولة التي نُريدها دولة مواطنين لا رعايا.

ـ نحن ندعو إلى الاحتكام لصناديق الاقتراع، فنحن نرفض العنف من أي جانب، سواء كان من جانب الدولة أو من جانب جماعات التكسير والتحطيم.

☆☆☆☆☆

مقال:

خاطفو الإسلام

الباحث «....» في معهد الدراسات الإسلامية في وزارة الدفاع كتب مقالاً تحت عنوان: خاطفو الإسلام. يقول في المقال:ـ

«في المجتمعات الحضارية والمُتقدمة تقود الأكثرية القِلَّة المُعارضة، لأنَّ هذا هو الوضع الطبيعي، وفي العالم الإسلامي يوجد المؤسسات العلمية تضم عشرات الآلاف من كبار العلماء والباحثين، ويستمع لها عموم المسلمين في الفتاوى والنصائح والإرشادات وعموم هؤلاء يؤمنون بشرعية الأنظمة القائمة مع انتقادات مخملية بين الحين والآخر تعطيهم صفة الاستقلال، ويوجد كذلك ما يُوازيها من جماعات تُعارض هذه الأنظمة لكنها تُؤمن بالعمل السياسي والإصلاحي الهادئ، وتنبذ المُمارسات العنيفة والأفكار المُتزمتة المُتشددة التي تقصي الآخر وترفضه، وقلَّة قليلة هم من يُؤمن بهذه الأفكار التي غطت اسم الإسلام عند الآخر وفي الإعلام العالمي، هذه الفئة هي أقلية من المُتطرفين والأيدلوجيين، من يريد أن يقسم العالم بين مسلم وكافر، وبين دار إسلام ودار كفر.

هذه القلَّة قد سرقت الإسلام، وصارت تتحدث عن مُعاناة المسلمين وآلامهم، وتتبنى قضاياهم السياسية والاجتماعية لكن ضمن إطار عقائدي متشدد يقصي الآخر ويحكم على غير المسلم بالخلود في جهنم بعد الموت.

استطلاعات الرأي في البلاد الإسلامية يمثل إلى عدم تأييد هؤلاء المتطرفين، لكنهم في المقابل يميلون إلى عدم قبولهم بالوضع الحالي، لأنهم يشعرون أن أنظمتهم لا تمثلهم، ولا تسمح لهم بالاختيار الحر.

وقد أشارت النتائج أن بعض مظاهر الفرح التي نشرت في وسائل الإعلام بعد حادثة كسر الأصنام إنما هي محدودة ومحصورة لكن حرص الإعلام المنحاز ضدَّ المسلمين هو من أعطاها زخم التضخيم والمبالغة.

هناك دعوات علمية في الوسط الإسلامي بتحرير الإسلام من هذه القلَّة، ونشر ثقافة التسامح والحوار ونبذ الصورة المشوهة عن الإسلام أنه دين عنف وإرهاب، ولكن الطريق ما زال بعيداً عن هذا بسبب حرص المؤسسات خارج دائرة الثقة لدى النَّاس في هذه المجتمعات، ففي خانة الاستطلاع التي تبين رؤية النَّاس حول العلماء الرسميين أشارت النتائج أنهم مجرد موظفين يمارسون عملاً دنيوياً لا علاقة له بالإسلام ومصالح المسلمين. وقد كشفتِ الدراسة أن ما يُسمى بالإسلام المُعتدل يُعاني انشقاقاً داخلياً، فهو ليس حالة واحدة، فهناك مَن يُؤمن بتطوير الإسلام وذلك عن طريق إحداث ثورة فِطرية داخلية على غِرار الأديان الأخرى، وهناك مَن يرفض هذا ويرى أن هذه دعوات مشبوهة تُعارض أصول الدين، فَرِهَانُ الأنظمة الغربية على الإسلام المُعتدل يبدو غير سديد في حل مشكلة العنف وتكسير الأصنام.

لا تنفي الدراسة أنَّ هناك أسباباً خارجية هي التي تدفع هذه القِلَّة للأعمال المادية العنيفة، لكن مراكز الدراسات تُشير إلى أنَّ المشكلة بنيوية داخلية من الإسلام نفسه، وهو ما يحتاج إلى تفجير من داخله على غرار دعوة مكسيم رودنسون في حواره مع الشيخ محمد عبده في باريس».



الإسلام الوطني

الشيخ «....» معروف عنه الدعوة إلى توطين الإسلام داخل الخصوصية للدول والشعوب، فهو يرى أن الإسلام قد استطاع الصمود بسبب قُدرته التاريخية على الدخول في خصوصية النسيج الاجتماعي للشعوب التي انتشر فيها، فقد صار هناك الإسلام الفارسي والإسلام العربي، والإسلام الهندي، كما نرى اليوم الإسلام الاندونيسي، فلماذا لا يكون هناك الإسلام الغربي كذلك وقد صار المسلمون جزءاً من الغرب، ودعوته كما يقول تعطي «ديناميكية» وحيوية للإسلام اليوم بحيث نزيل الحواجز بين المسلمين والتقاليد المُتبعة لهذه الشعوب، وهو يقول: إننا لا ندعو للاندماج بحيث تلغي الخصوصية للمسلمين، لكننا ندعو للمشاركة والفاعلية للمسلمين داخل هذه المجتمعات.

حادثة كسر الأصنام ألقت بظلالها على هذه الدعوة حيث يقول الشيخ إنها صنعت حالة من انفصام بين المسلمين وبين هذه الشعوب، لأن أساس دعوتنا ـ كما يقول ـ هو صناعة حالة تجاور بين تراث هذه الشعوب وتقاليدهم وبين الإسلام والمسلمين، لكن «صناع الكراهية» كما يُسميهم هم من يريدون تحويل العالم إلى فِسطاطين مُتنافرين؛ فِسطاط إيمان وفِسطاط كُفر، فإعلانهم البراءة من هذه الشعوب التي يعيشون بينها أعطت الحجة للمُتطرفين فيها لطرد المسلمين وحربهم والدعوة إلى مُلاحقتهم وتعذيبهم.

يصر الشيخ على أن الإسلام يملك القُدرة على التعايش ضمن الآخر، حيث أن الحالة الأندلسية المُتسامحة التي عاشها المسلمون هناك تدل على ما ندعو إليه، وأما تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام فهو تقسيم تاريخي قاله فقهاء في أزمنتهم التي تجاوزها الزمن، ولكن للأسف فإنَّ بعض الجهلة من الشباب ما

زالوا يعيشون مع هذه الأفكار، وهم الذين يحملون فكر الكراهية وإلغاء الآخر، وكان نتيجة هذه الأفكار هي الحادثة «المشؤومة» من تدمير تراث شعب متسامح.

يقول الشيخ: إن الذين يستهزؤون ويسبون هم أشد خطراً من «المحطمين والمكسرين» لأنَّ الأصل هي أفكارهم التي تُفرز هذه العيِّنات المشوهة.

«لا حل إلا بإسلام وطني، يعيش ضمن نسيج المجتمع، يقبل به، ويحترم اختياراته، ويخضع لقوانينه».

«إسلام البداوة والصحراء حالة زمنية ماضية يجب علينا أن نتجاوزها» وهذا يعني أنَّ كثيراً من الفقه القديم إنما هو فقه مادته من تقاليد المجتمع العربي وليس من الكتاب والسنَّة، ويمثل الشيخ على ذلك البرقع وغطاء الوجه، بل يقول: إن ما يُسميه الجهلة بالأصنام هي فن معاصر ينظر النَّاس إليه على وجه مختلف عن العربي البدوي في الصحراء، فهي أصنام في عقولهم لا في عقل الإنسان الحضاري المعاصر.

الشيخ يرفض إرسال الجنود الغربيين إلى بلاد المسلمين، لكنه يطلب من المسلمين في داخل هذه الجيوش باحترام القوانين وتنفيذ الأوامر حتى لا يتهموا في وطنيتهم، ولكنه يرفض تكوين أحزاب إسلامية في الغرب ويقول: إنَّ انضمام المسلمين للأحزاب القائمة أكثر نفعاً ويحقق مفهوم الإسلام الوطني الذي يدعو إليه.



القيادة التاريخية:
لقد أخطأنا ونحن على استعداد لدفع ثمن الأضرار

في خطوةٍ مُفاجئةٍ خرج أحد القادة التاريخيين لجماعات العنف والتفجير باليد ليُعلن عن تراجعه الفكري، ويصرح أنَّ صفحة جديدة سيتم فتحها مع الحكومة، بل وذهب أبعد من هذا حيث استعد أن يضمن الأموال التي تم إتلافها في حادثة كسر الأصنام.

الشيخ يقول إنَّ التراجع عن الخطأ فضيلة، وأن تغير المذهب والرؤية الفقهية قد وقعت قديماً فالشافعي رحمه الله معروف عنه أنه له مذهبان، المذهب القديم الذي كان عليه قبل دخوله مصر، ومذهبه الجديد بعد دخوله مصر، وأن الدراسات الطويلة هي التي جعلته يتراجع عن خطه السابق، وهو يأمل بأن تقابل تراجعاته على إعادة فقه الموازنات، حيث يقول: إن جماعته أصلاً لم تكن تُقاتل على أساس تكفير الآخر، بل إن ما قاموا به هو ردة فِعْلٍ على سياسة الضرب على الرأس، وقال: إنَّ العنف المُتبادل كان لا بدَّ من توقفه، وهو يرفع الحرج عنِ الحكومة بأن يُعلن عن مبادرته من طرف واحد.

«فقه الموازنات» هو مفتاح الحل لحالة التراجع، حيث دلَّ الواقع أنَّ الأعمال المادية طريق ينتهي إلى الفِتن، وهو يعطل طاقات الشباب عن خدمة بلدهم، كما يشغل الحكومة عن انجاز مشاريعها التنموية، كما يضعفها أمام أعدائها، ولذلك فالمصلحة تقتضي أن يلتقي الجميع في صعيدٍ واحدٍ لخدمة الأُمة، وقد أصدر الشيخ كتباً عِدَّة بيَّن فيها شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروط الحسبة، وهو يُصرح أنَّ هذه الشروط لا يمكن تحققها اليوم من قِبل العاملين في مجال الدعوة، كما أنه يُصرح أنه على استعداد أن يقدم خدماته للحكومات التي

تُعاني من وجود دعاة التغيير باليد وكسر الأصنام لأنه يملك الرؤية والتجربة في التعامل معهم.

المُراقبون يأملون أن تثمر هذه المراجعات الفكرية في لجم حالة العنف العالمي، مع أنَّ الكثير منهم يُشكك في ذلك ويعزون هذا التخوف من انقلاب المراجعين إلى حالة تماهي مع الحكومات حيث ذهبوا بعيداً في إثبات شرعيتها وشرعية مواقفها حتى لجماعات المُعارضة السياسية، إذ أعطوا الحاكم حقَّ اتخاذ المواقف بسبب إدراكه أكثر من غيره لما يلائم المرحلة كما يقولون، بل إنهم ذهبوا إلى حد انتقاد جماعات الجهاد الوطنية، وهو أمرٌ لا يجد القبول في الأوساط العلمية والشعبية.

الشيخ يقول: إن المراجعات أدخلت السرور على قلوب المئات حيث أعادتهم إلى ذويهم، وحقنت الدماء، وهذا انجازٌ بحد نفسه كافٍ ليحكم عليها أنها في الطريق الصحيح.



الفَصْلُ الثَّالِثُ



بين الفقهاء الجدد وأهل الحقِّ والقرآن

الأثر الأول:ـ

أخرج البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لأَخِيهِ: «ارْكَبْ إِلَى هذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمِاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي».

فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ.

فَقَالَ لَهُ: «رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا، مَا هُوَ بِالشِّعْرِ».

فَقَالَ: «مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ».

فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ، فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذلِكَ الْيَوْمَ، وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى أَمْسى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: «أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟» فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ مِثْلَ ذلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟». قَالَ: «إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقاً لَتُرْشِدَنَّنِي، فَعَلْتُ» فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: «فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي، حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي».

[1] «صحيح البخاري»: ٣/١٤٠١/ح٣٧٧٤.

فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**».

قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ».

فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ. وَأَتَى الْعَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ.

قَالَ: «وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ؟».

فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ.

ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ، وثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ».

قال الفُقهاء الجُدد: هذا حديث لا نأخذ به لمعنى يخالف قواعد الدعوة، وينقض ما نعلم مِن المُوازنة بين المصالح والمفاسد.

أما مُناقضة الحديث لقواعد الدعوة، فإنَّ ما فعله أبو ذر ليس فيه إلاَّ إغاظة لقلوب المُخالفين للإسلام، إذ ليس فيه إلاَّ البلاغ دون المُناظرة بالحجة والأدلة، كما ليس في فِعله أي حكمة في تبليغ كلمة الحق، فلو خرجَ إليهم وتألفهم بأنْ أبان لهم ابتداءً أنه من غِفار حتى يضمن عدم إيذائه في بدنه، ثم جلس إليهم جلسة المحب الشفيق عليهم لَكان لكلامه الوقع الحسن على قلوبهم، لكن لما خرج إليهم صارخاً بهذه الكلمة علموا أنهم لم يَرَوا إلا غيظهم وإهانتهم فمالوا إلى الشر بأن ضربوه، وأن جر على نفسه هذا الإيذاء بهذا الفعل لم يكن محسناً للدعوة ولا لنفسه التي أمره الله تعالى بصونها وعدم إهانتها أو إيذائها.

ومما يبين أن فِعله لا يُقتدَى به أنه عاد لنفس العمل مع أَنه عَلِمَ أنه لا يحقق فِعله حكمة الدعوة إلى الله تعالى، ولا تبليغ كلمة الله بالحسنى.

ثمّ إنَّ القصة تبيِّن أن إسلام أبي ذر كان في زمن الدعوة سِراً لِما رأينا من فِعْلِ علي المرتضى رضي الله عنه، من محاولة التخفي وعدم الظهور مع أبي ذر، فيكون أبو ذر قد نقضَ قاعدةَ سِرية الدعوة.

أما نقض هذا الحديث لقاعدة المُوازنة بين المصالح والمفاسد، فإنَّ أبا ذر لم يحقق أي مصلحة قط لا دينية ولا دُنيوية، فصُراخه بكلمة التوحيد بين ظهراني قريش لم ينصرِ الإسلام ولم يكسرِ الشرك، ولم يُسلم بفِعله أحدٌ، بل زاد أهل الشر شراً، فمع كفرهم زادوا شر إيذاء المسلمين، كما وقع له، وفي هذه مفسدة فإن أبا ذر جر على نفسه الأذى الشديد، فقد جاء في رواية الطبراني[1]: «فَضَرَبُوني حَتَّى تَرَكُوني كَأَني نُصُبٌ أَحْمَرُ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوني..»، فهذا إيذاءٌ للنفس التي أمر الله بحفظها، بل هي من الكُليات الخمس التي لا يختلف أهل العلم بوجوب صِيانتها، فأبو ذر آذاها دون أي مصلحة راجحة قد قدَّرها ابتداءً، إنما أراد أن يُسمعهم كلاماً قد سمعوه سابقاً فأنكروه.

فميزان قاعدة المصالح والمفاسد تحكم أنَ أبا ذر لم يحقق أي مصلحة شرعية، بل وقعتِ المفاسد الدينية والدنيوية، وكفى بأنَّ فِعله زاد كُره الكافرين للإسلام وإيذائهم له.

[1] أخرجه في «المعجم الأوسط». وقال: لم يروَ هذا الحديث، عن أبي يزيد المديني إلا أبو طاهر مولى الحسن بن علي تفرد به جعفر بن سليمان. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة»: ١/٤٦٦. والسيوطي في «جامع المسانيد والمراسيل»: ١٧/١٩٩/ح ٩٧٢٩. والهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٩/٤٥٤/ح١٥٨١٤. وقال: قلت هو في الصحيح باختصار.

قال أهل الحقِّ والقرآن: لَعمر الله لقد جِئتم إلى الفقه من غير بابه، وفهمتم الدين على غير وجهه، فما أنتم إلا رجال جهلٍ فوقَ جهلٍ، لا تُقيمون شأناً لما أمرَ الله بإقامته، ولا تُراعون المصالح التي أمرَ الله برعايتها، إما ميزانكم ميزان أهل الدنيا والأهواء، لا ميزان الدين والدار الآخرة، وكفى بكم جهلاً أن تقولوا هذا الكلام على فِعْلٍ شهده رسول الله ﷺ فلم ينهه، بل عاد إليه في اليوم الثاني دون نكارة من صاحب الشرع الشريف، فإن احتججتم برواية الطبري وأن رسول الله ﷺ قال له: «**ألم أنهك**»، فهذا من جهلكم لأن رسول الله ﷺ قال له: «**إني أخاف عليك أن تقتل**» فقال أبو ذر: لا بدَّ وإن قتلت، فقال أبو ذر: فسكتَ عني، والظن بكم مع شِدة الجهل فيكم أن تعلموا أن هذا إقرار من رسول الله ﷺ حيث سكت.

أما ما زعمتم من مخالفة فعل أبي ذر رضي الله عنه لقواعد الدعوة كما تقولون، فهذا كذبٌ على قواعد الدعوة، فإن أبا ذر رضي الله عنه أراد أن يُسمعهم كلمة التوحيد لأنها حق في نفسها، أما كيف تلَقِيهم لها فهذه جِنايتها على أنفسهم لا على مَن يقول كلمة الحق، فإنَّ قائلَ الحق لا يُلام بوجهٍ من الوجوه، وخاصة أنَّ قريش قد أعلنتْ كُفرها وصدها لكلام الله وتوحيده، فعُذر الموحِّد المسلم بعد ذلك فيهم، بل له الأجر في إيذائهم في دينهم وإغضاب حمية الجاهلية في قلوبهم، أما تصوركم أنَّ أهل الباطل والشرك عِلَّة رفضهم للحقِّ عدم حِكمة الداعي ورِفقته بهم فهذا مِن أبْطَلِ الباطل، إذ أنَّ الأنبياء هم أكثر النَّاس حِكمةً في الدعوة إلى الله ولم يستجبْ لهم إلاَّ القليل، بل هذا رسول الله ﷺ محمد وهو أحكم خَلْقِ الله وأرفقهم، وأشدهم رغبة في هداية الخَلق لم يُسلم على يديه في مكة طِوال ثلاث عشرة سنة إلاَّ القليل لا يصلون للمائة، وإنما دخل النَّاس في دين الله تعالى بالجهاد في سبيل الله، فاتهام الداعي بالضُعف إن غضب المُشرك حميةً لدينه الباطل فآذى الداعي أو قتله إنما هو إعذارٌ للمشرك واتهامٌ للموحِّد، وهذا

صنيعكم اليوم، وهو من تلبيس الشيطان عليكم وجهلكم بكتاب الله تعالى حيث يقول ربنا: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقال: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]. ثمَّ إنكم لم تفهموا دافعَ أبي ذر لذلك، فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما استخفى في السؤال عن رسول الله ﷺ وهو يطلبه أراد أن يُبين أثر الإيمان على قلبه، وذلك لما رأى إعلانه تكفيراً لذنب الضعف كما يأتي في نفس المهتدي لحظة إشراق الإيمان فيها الذي وقع فيه قبل الإيمان، وهو دافع إيماني ممدوح يُؤجر فاعله ويثاب عليه.

فحكمة الدعوة التي تزعمونها لا وجود لها إلا على صورة باطلة من فعلكم وهو الجلوس لدى أهل الشرك والضحك معهم، واللعب في نواديهم، ومُشاركتهم لَهوهم وطعامهم وشرابهم دون أن تُصرحوا لهم بكُفْرِ ما هم عليه، ولا ببيان مُستقرهم بعد الموت وأنهم في النَّار، إذ أنهم لا يسمعون منكم هذا البتة، وليس هو مُرادكم أصلاً، بل مُراد حِكمة الدعوة عندكم أن يحبونكم ويتسمون لكم ويُسبغون عليكم صفات المدح كالاعتدال وحُسن السلوك، ثم يرونكم بعد ذلك جزءاً منهم، لا يغضبون منكم، لأنكم لا تُغضبونهم كما أغضب رسول الله ﷺ قريش كما قال الزهري رحمه الله: «دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً وجهراً فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء النَّاس حتى كثر من آمن به وكفار مكة غير منكرين لما يقول، فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أنه غلام بني عبد المطلب يكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب آلهتهم التي يعبدونها، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشنقوا لرسول الله ﷺ عند ذلك وعادوه»[1].

[1] «سيرة سيدنا محمد T »، إظهار الإسلام سنة ٦١٣م. للشيخ رشيد رضا.

فحكمة الدعوة عندكم أن يحبونكم بسبب كِتمانكم الحق، وحصولكم على الرضى والبسمات منهم، أما حكمة الدعوة في هديٍّ رسول الله ﷺ وهديٍّ أصحابه رضي الله عنهم أن يعلمَ النَّاس الحقَّ وأن يسمعوه ثم بعد ذلك فعليهم ما حُمِّلُوا وعلى الداعي ما حُمِّل.

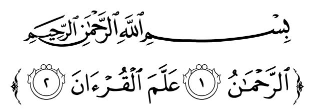
وفِعل أبي ذر رضي الله عنه هذا ليس مزيداً في بابه من إسماع المُخالف كلمة الحق التي تُغضبه، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يفعلها، ويناله ما نال أبو ذر من البلاء، فقد اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ يوماً فقالوا: «والله ما سمعتْ قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعهم؟

فقال عبد الله بن مسعود: أنا.

فقالوا: إنا نخشاهم عليه، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه.

فقال: دعوني، فإن الله سيمنعني.

قال: فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته:



قال: ثم استقبلها يقرأ فيها، وتأملوا، فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟

قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه.

فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

قال: ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً.

قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون»[١].

فهذه سنَّة مطروقة في إسماع الكفار والمشركين والمنافقين ما يكرهون.

أما قولكم إن هذه القصة في إسلام أبي ذر كانت زمن سرية الدعوة فهذا من جهلكم، فإنَّ أبا ذر أسلم بعد عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل في وقت الحج، ولذلك بلغه خبر النبي ﷺ كما جاء في الحديث، ثمَّ إنَّ فهمكم لسرية الدعوة على معنى غلط، إذ تظنون أنَّ سرية الدعوة تعني عدم الدعوة، وهذا ظنٌ باطلٌ، بل إنَّ بعضكم يظن أنَّ سِرية الدعوة تجيز لهم إظهار الكفر بلا إكراه بل لداعي السرية فقط، وهذا لا يقوله مسلم، فإن إظهار الكفر لا يجوز إلاَّ في حالة واحدة وهي الإكراه المُلجئ، وكِتمان الإيمان لداعي الخوف جائزٌ من غير إظهار الكفر، ففرقٌ بين كِتمان الإيمان وبين إظهار الكفر، إذ أن كتمان الإيمان لا يستلزم إظهار الكفر وُجوباً، يَفهم هذا كل أحدٍ.

أما قولكم إنَ قانون المصالح والمفاسد يحكم على فِعْلِ أبي ذر بالغلط، فههنا تسكب العِبرات، ويناح على الإسلام وأهله من فِقهكم الغريب المَنكوس، ومن جهلكم بمعنى المصلحة الشرعية المُعتبرة في دين الله تعالى، ومِن أقوالكم التي نسبتموها للشرع تحت قانونكم الباطل هذا والشرع منها بَراء، بل هي تُضاد الدين وتوحيد الله من كلِّ وجهٍ، إذ جعلتم دين الله على معنى ما يفهمه أهل الأهواء والأديان الباطلة من أديانهم الباطلة، أي مطية لدُنياهم، فما ضرَّ دُنياهم هو المفسدة، وما نفعها فهو المصلحة، أما مصلحة الدين والتوحيد والدار الآخرة فلا معنى لها عندكم في أبواب الفقه، ولذلك لم تفقهوا قول الهُداة من فقهاء المِلَّة من

[1] «فضائل الصحابة» للنسائي: ٢/٨٣٧/ح١٥٣٩.

جواز انغماس الرجل في الصف لا يرجو النَّجاة ابتغاء الشهادة والأجر، وطلباً لإظهار محبة المسلمين للدار الآخرة، وبيان يقينهم عليها، فأنتم حين تفكرتم في فِعْلِ أبي ذر بحسب قانونكم في المصالح والمفاسد لم تروه إلا على معنى أنَّ الرجل ضر نفسه وعرضها للتهلكة والموت دون مصلحة راجحة من مصالح الدنيا التي تفهمونها، حتى إنَّ رِفعة الدين عندكم ونصره إنما هو مصلحة لما يحقق هذا النصر من دنيا مُريحة، وغنائم تجتنوها، وتمكين تبسطون فيه سلطانكم فتنّعمون في الرغد والشهوة، أما مصلحة قول كلمة الحق التي تُورث الشهادة والجِنان، فهذا لا حضورَ له في أذهانكم البتة، وبسببه وردتم ضلالات الفتاوى من منع المجاهدين ودعوتهم لترك الجهاد وإن لم يتحققوا الظفر بجهادهم، إذ لم تفهموا أنَّ الجهاد مشروعٌ محبوبٌ في ذاته، وأنَّ طلب الشهادة محبوبةٌ مطلوبةٌ لذاتها سواء حقق الجهاد وطلب الشهادة الظفر على الأعداء أم لا.

إنَّ قانون الصَّحابة في الأعمال منذ أن يُعلن المرء منهم كلمة التوحيد غير قانونكم، فهو إنما يعتبر مصلحة الدين وإظهاره حتى لو مات أو أهلك ماله أو فارق أهله، ولا يقيم شأناً لمثل هذه مقابل مصلحة إظهار الحق، وهو ينظر إلى العمل الذي يحقق له الأجر والشهادة والدخول في الرضى الإلهي وتحقيق الجنان، وهذا هو الذي نزع إليه أبو ذر رضي الله عنه غير ملتفتٍ لهلاك نفسه أو بعضها، بل هو يفرح لو هلكت في سبيل ذلك لأنَّ هذا مطلبه وهذا مُبتغاه، فشتان بين قانونكم الباطل وبين قانون الإيمان.

لقد صيَّر قانونكم في ما تدعونه من تحقيق المصالح ودرء المفاسد أمة الإسلام إلى أُمَّةٍ كسائر أُمم الأرض من غير المؤمنين بالله والدار الآخرة، بل جعلتموها أرذل وأخس منهم إذ حطمتم إرادتهم حتى وهم يندفعون لرد الصائل على الدين والدنيا بحجة عدم تيقن الظفر في ردهم، ونصحتموهم بالجلوس والقعود وترك الجهاد، فما أشقى الله بكم، بل ما أشقى أمة أنتم قادتها وعلماؤها.

الأثر الثاني :ـ

روى البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَعثَ النبيُّ ﷺ سَرِيةً عَيناً، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بن ثابت ـ وهو جدُّ عاصم بن عمرَ بن الخطاب ـ فانطلَقوا، حتى إذا كان بينَ عُسفانَ ومكةَ ذُكِروا لحيٍّ من هُذَيل يُقال لـهم بنو لِحيانَ فتَبِعوهم بقريبٍ من مائةِ رامٍ فاقتصُّوا آثارَهم، حتى أَتوا منزِلاً نزلوه، فوجَدوا فيه نَوَى تمرٍ تزَوَّدوهُ من المدينة، فقالوا: هذا تمرُ يَثربَ، فتبِعوا آثارَهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجأُوا إلى فَدْفَدٍ، وجاءَ القومُ فأحاطوا بهم.

فقالوا: لكُم العَهْدُ والميثاقُ إن نزَلتُم إلينا أن لا نقتُلَ منكم رجُلاً.

فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنْزِلُ في ذمةِ كافر، اللـهمَّ أخبرْ عنَّا نبيَّك.

فقاتلوهم حتى قَتلوا عاصماً في سبعةِ نَفرٍ بالنَّبل...».

قال الفُقهاء الجُدد: هذا حديث لا نقول به، ولا نفتي بمعناه، لأنه يدعو إلى اختيار مفسدة الهلكة على مصلحة النَّجاة في حالٍ تيقن فيه عاصم الموت، فلو نزل في ذمتهم لكان في فِعله سعة بالنَّجاة، مع أنها مظنونة، وهي مع ظنها مقدمة على اختيار يقين الهلكة بلا مصلحة شرعية مُعتبرة للدين والدنيا، لأننا نعلم من دين الله أن هذا إلقاء للنفس في الموت المحقق وهذا منهيٌّ عنه شرعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩]، بل ربما كان اختيار عاصم وهو الأسر لهذا الفِعلِ هو ما قوَّى الآخرين معه لهذا الاختيار، فكان في ذلك قتلهم، وهو يعلم يقيناً هذا، إذ أنَّ رجاءَ ظفر ستة رجال أمام مائة لا يكون، ولذلك فما نفتي به عدم جواز الاقتداء بهذا الفِعل، بل على

[1] «صحيح البخاري»: ٤/١٤٩٩/ح٣٩٩٧.

المرء المسلم أن يسعى جُهده للنَّجاة ما وسِعه ذلك، وخاصة إن كان له شأن فيهم كشأن عاصم يكون في نجاته نفعاً للمسلمين وزيادة خير له.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: إنَّ هذا الفقه الذي تزعمونه فقهٌ ضالٌ، إذ يحرم معالي مُراد القلوب في طلب الشهادة واختيار الموت على الأسر، ويُوجب على المسلمين ما هو جائزٌ لا يبلغ درجة الاحتساب من النَّجاة والاستئسار على الشهادة، وبين من قتل نفسه جزعاً من قدر الله تعالى.

أما زعمكم بأنَّ المرء لا يُقاتل حتى يرجو الظفر أو النَّجاة فهذا من جهلكم بما يحب الله تعالى وما يكره، فلو تأملتم حياة أصحاب النبي ﷺ لَرأيتم أنَّ طلب النَّجاة بترك الجهاد عندهم معصية من المعاصي التي تحتاج إلى التوبة، ولا يقول بها إلاَّ الجُبناء، أما ترك الجهاد بسبب فوات الدنيا فهي أكبر من الأولى، ولذلك فأنتم تفتون بالكبائر لا الطاعات، أما زعمكم أنَّ الجهاد لا يكون إلاَّ مع رجاء الظفر والغَلبة فهذا كذلك من جهلكم بالدين، وعدم فِقهكم بمقاصد الجهاد لأنَّ من مقاصد الجهاد تحقيق الشهادة كما وقعَ لأنس بن النضر في أُحد بعدما وقعت المُصيبة على المسلمين بانكشافهم «انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألقوا بأيديهم.

فقال: ما يجلسكم؟

فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ.

فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ.

ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل، وبه سمي أنس بن مالك»[1].

فها هو الصحابي المؤمن يدفع إخوانه للموت قِتالاً في سبيل الله، فمَن زعمَ أنَّ طلب الموت في الجهاد مفسدة فهو أضل من أن يُقال له مفتي أو فقيه أو عالم، وتبيَّن من فِعل أنس بن النضر رضي الله عنه عدم رجاء السلامة ولا الظفر إنما هو جهاد طلباً للشهادة، وهي مقصود المؤمنين.

أما قولكم إنَّ نجاة أمثال عاصم ومن معه من القُراء أي العلماء خيرٌ للدين، فهذا مِن جهلكم كذلك، لأنَّ الخيرَ لدين المسلمين أن يروا علماءهم ـ أمثالكم ـ يقولون كلمة الحقِّ فيُقتلون ويُسجنون، وأن يجاهدوا فيُستشهدون، فتزداد ثقة المسلمين بدينهم، إذ يرون علماءهم يحبون الشهادة والدار الآخرة، ويزداد التابعون لهم بإحسان في باب الجهاد وقول كلمة الحق، لكن حين يرون أمثالكم ممن تسموا بالعلماء هم أكثر النَّاس حِرصاً على الدنيا كما قال الله في يهود ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦]، ويرونهم يُنافسون أهل الدنيا في اقتنائها وإعمارها، ويدفعون ثمن هذا جُبناً عن كلمة الحق، وخوفاً من الموت في سبيل الله فإنهم يُعرضون عن هذا الدين ولا يعتقدون بصحته، إذ يقولون: لو كان أمر الجنَّة حقاً كما يقول هؤلاء لَرغبوا فيها، ولأقبلوا إليها، وهذا الذي وقع طويلاً في أمة الإسلام وشبابها من انقلابهم إلى مذاهب الكُفر كالشيوعية والقومية والوطنية، فإنهم لم يرواْ أهل العلم الذين يُؤمنون بالله والدار الآخرة يقودونهم لمعالي الأُمور والشجاعة فأعرضوا عنهم إلى قادة كُفْرٍ يُقاتلون تحت رايتهم، فكان في ما تزعمون من الحرص على الحياة سبباً في الردة وسُوء الحال، ولولا ما قدَّره الله من المجاهدين من أهل الحقِّ والقرآن والسنَّة لَصارتْ في الأُمة ردة أُخرى بسبب جُبنكم ورغبتكم في الدنيا كما هو بيِّنٌ ظاهرٌ، لكن لما أقام الله

---

[1] «دلائل النُّبوة» للبيهقي: ٢٤٥/٣.

قادة الجهاد، وأقبلوا على الشهادة آب الشباب إلى الدين والرغبة في الدار الآخرة اقتداءً بهؤلاء القادة المؤمنين السائرين على ملَّة إبراهيم عليه السلام في كسر الأصنام وإرغام جِباه الأعداء في الرَّغام.

فالنَّاس لا يحتاجون لِقوَّالين بلا أعمالٍ، بل يحتاجون لسلوك سبيل الحق إلى من يزهدون في الدنيا ويحبون الموت كما يحبُ الكُفار الحياة.

أما قولكم إنَّ اختيار عاصم للقتال حتى الشهادة يُقوِّي الأتباع على السير على مِنواله فهذا حقٌّ، وهو اختيارٌ ممدوحٌ في الشرع خِلافاً لجهالاتكم كما تقدم، فإنَّ المرءَ إن كان متبوعاً لا تسعه الرخصة، بل لا بدَّ له من العزيمة التي يحبها الله للصادقين من الأئمة الهُداة، وهذا ما فقهه أحمد بن حنبل حين ترك رخصة المعاريض أو مُتابعة قول الخليفة في خَلْقِ القرآن كما فَعَلَ غيره، وهو اختيار التابعي الجليل سعيد بن جُبير مع الحجاج، وبفعلهم هذا يدخلون باب الأئمة المُقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤] ، وكما قال تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فبهذا صار السابقون أئمة للدين، وصِرتم أنتم أئمة للجُبن وستر الحقِّ ومُسايرة الباطل، فسقطتم من أعين النَّاس لسقوطكم مِن عين الله تعالى إلاَّ أن تتوبوا كما قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ -١٦٠].

الأثر الثالث:ـ

قال ابن كثير[1]: أخرج ابن إسحق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ؟

قِيلَ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ.

فَغَدَا عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ وَأَنَا غُلاَمٌ أَعْقِلُ، حَتَّى جَاءَهُ، فقال له:ـ

أَعَلِمْتَ أَنِّي أَسْلَمْتُ؟ وَدَخَلْتُ فِي دِينِ محمَّدٍ ﷺ؟

قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَاجَعَهُ حَتَّى قَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:ـ

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلاَ إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ.

قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ، وشَهِدْتُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ محمَّداً رَسُول الله.

وَثَارُوا إِلَيْهِ فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ، وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ.

قَالَ: وَطَلِحَ ـ أي تعب ـ فَقَعَدَ وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَوْ كُنَّا ثَلاَثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا.

قال: فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلُ شَيْخٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حِبَرَةٌ، وَقَمِيصٌ مُوَشًّى ـ أي مخطط ـ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟

فَقَالُوا: صَبَأَ عُمَرُ

قَالَ: فَمَهْ! رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ! أَتَرَوْنَ بَنِي كَعْبِ بْنِ عَدِيٍّ يُسْلِمُونَهُ! خَلُّوا عَنْه.

[1] «البداية والنهاية»: ٦٦/٣. «السيرة النَّبويَّة» لابن هشام: باب: ذكر ثبات عمر في إسلامه وجلده. ١٢٧/٢.

قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْباً كُشِطَ عَنْهُ.

فَقُلْتُ لأَبِي بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ: يَا أَبَهْ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ؟

قَالَ: الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ».

قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.

قال الفُقهاء الجُدد: في هذا الخبر معنى لا نُفتي به ولا نقوله، إذ أنَّ استفزاز الفاروق لقريش على هذا الوجه الذي وقع في الخبر ليس من حِكمة الدعوة، فلو أنه تَرفَّقَ بأصحابه فزارهم في بيوتهم يشرح لهم معاني الإسلام التي يجهلونها لكان في ذلك هِدايتهم، أما أن يعمد إلى رجل سفيهٍ يعلم منه طيشه في نقل الحديث على وجهٍ يستفز له المُقاتل فيتخذه وسيلة لنشر خبر إسلامه فهذا ما لا نعلمه من حِكمة الدعوة، ولذلك رأيناه قد وقعَ له من الشرِّ الذي صار بينه وبين أهله وقومه، وهو نتيجة اختيار الطريق التي فعلها.

ثمَّ إنَّ في قول الفاروق كما في الخبر ما لا حب للداعي أن يقوله لقومه، أي قوله: «فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَوْ كُنَّا ثَلاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا» ففي قوله هذا تهديدٌ لهم أنه سيُحاربهم ويُقاتلهم هو ومَن معه من المؤمنين إن بلغوا هذا العدد، وهذا القول لا يقوله المرء لحظة الاستضعاف، لأنه إعلان حربٍ صريحٍ كما يُقال اليوم، بل الواجب في لحظة الاستضعاف هو كف اليد، ومن معانيها كف اللسان بالتخويف لهم، إذ لو وقع هذا اليوم لَكان سبباً في استئصال المؤمنين الضعفاء الذين لا يملكون ما يمنعهم، ولذلك فالجواب على المستضعفين من المسلمين اليوم في البلاد أن لا يتكلموا عنِ الجهاد ولا يذكرونه لأنَّ في ذكره على ما تقوله كُتب الفقه إنما هو إعلان حربٍ في وقتٍ لا يحمد فيه.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: أما زعمكم أنَّ هذا مناقضٌ لحكمة الدعوة فهذا من جهلكم بمعناها، إذِ الحكمة تعني أن لا يقول الدَّاعي إلى الله كلمة تُؤذي

سامعها من الحقِّ، ولو صحَّ قولكم هذا لَوجبَ على الدَّاعي أن يستر جُلَّ دينه، بل يستر أركان توحيده وعقيدته، لأنَّ ركن التوحيد أن تكفُر بالطاغوت كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، والكفر بالطاغوت يقتضي الكُفر به وبعباده، كما قال الله تعالى على لسان إبراهيم ومن معه من المؤمنين: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال الله على لسانه: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، ومن مُقتضيات التوحيد أن تُبيِّنَ للنَّاس عاقبة كُفرهم إن عبدوا غير الله، كما قال الله في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٢-٢٣]، وقال الله على لسانه لقومه: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

فهذه هي أُصول الدين التي يجب الدعوة إليها، فقائلها هو الحكيم، ومَن سترها هو الضال الجاهل الجَبان حتى لو زعمَ الحِكمة الكاذبة، لأنَّ هذه هي حِكمة الجُبناء لا حِكمة الأنبياء وأتباعهم، فأنْ يصرخَ المرء في النَّاس بالحقِّ الذي أنكروه إنما هو حكيمٌ على مِلَّة إبراهيم وأتباعه عليه السلام، وهذا الذي أراده عمر الفاروق.

ثمَّ إنه أراد أن يُبيِّنَ أنه بالإيمان الذي اهتدى إليه لم يَعُدْ يخافهم ويخشاهم، وهو على استعدادٍ أن يتحمل تبعة هذا الإيمان الذي وقر في قلبه، وهذا مِن الصدق مع الله، أي أن يرى الله من عبده أثرَ الإيمان عليه، وتغيره له بسببه، ومن ذلك تركه خشية النَّاس مهما كثروا، وكذلك استعداده أن يدفع ثمن هذا الإيمان، فهذه معاني جهلتموها حين قُلتم ما قُلتم مِن الجُبن الذي سميتموه حِكمة، إذ أنَّ

واقعكم يقول هذا إذ سترتم الحق والتوحيد، وجلستم إلى المُرتدين الذين يحكمون بغير الشريعة، فأحلوا ما حرم الله من الربا الذي قال فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] فلم تُعلنوا الحربَ على مَن أعلنَ الله ورسوله وأتباعه الحرب عليهم، بل جالستموهم، وضحك بعضكم إلى بعض، فلم يصرخ أحد منكم صرخة الفاروق، ولا صرخة أبي ذر، فَضَلَّ بِسَبَبِكُمُ المسلمون، لأنهم لو رأوا منكم صُراخاً لهذا لَكان الحال غير الحال، ثمَّ إنكم جلستم إليهم وهم يتحاكمون إلى أنظمة الكُفر في المجالس الدولية كالأُمم المُتحدة والجامعة العربية، وهي المجالس التي لا يشك مسلمٌ يعلم التوحيد أنَّ شرائعها هي شرائع الكُفر، وأنَّ من التزمَ بها هو كافرٌ بالله وبرسوله ﷺ ولو زعمَ أنه مسلمٌ، فلم تفعلوا ما فعلَ الهُداة من أتباع مِلَّة إبراهيم محطِمِ الأصنام، بل زعمتم أنكم حُكماء، أي تسكتون عن الحقِّ الذي يُغْضِبُ المجرمين، طمعاً بقبول الجلوس معكم والابتسام في وُجوهكم، فانظروا ما جنت حِكمتكم الجَبانة، وانظروا ما جنت حكمة السابقين، إذ أنَّ أمرَ الأُمَّةِ بكم إلى سُفُولٍ وتراجعٍ، وأما مع السابقين فقد كان البلاء ولكن كان النَّصر والتمكين.

أما عدم قبولكم لقول الفاروق: «فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَوْ كُنَّا ثَلاَثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا» فهذا من جهلكم بمعنى كف اليد لحظة الاستضعاف، فإنَّ معنى الكف عند بعضكم هو الدخول في طوائف الكُفر عملاً ورعايةً لها، حتى يكون الواحد منكم رُكْناً من أركانها، ووزيراً من وُزرائها، بل إنَّ بعضكم ألفَّ لجهله كُتُباً يجيز للمسلم أن يدخل في خدمة الطواغيت الأصليِّين مِن الكفار المحتلين، مع أنه يسمِّي المجاهدين بالضالين والخوارج كذباً على الله وعلى دينه وعلى المؤمنين، ومعنى كف اليد عند بعضكم هو الذهاب إلى مذهب الكافرين المُشركين كمذهب غاندي الذي دعا إلى مذهب الجهل، هذا المذهب

الذي يُناقض فِطرة الله في الخَلق، إنساناً كان أو حيواناً، إذ أنَّ صاحبه يدعو إلى أن يرمي الرجل يديه على جنبه دون حِراكٍ حتى لو رأى مَسالحة الطاغوت يغتصبون عِرضه، وهذا لَعَمْرُ الحقِّ ليس خروجاً عن الإسلام فقط، بل هو خروج عن حد الإنسانية إلى صنف الخنازير من أهل الدياثة.

أما قولكم: إنَّ هذا زمن الاستضعاف، فهو كذبٌ على الله تعالى وعلى أنفسكم، إذِ المُستضعفون في الكتاب هم من قال الله فيهم: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء: ٩٨]. فهؤلاء حين يكونون مستضعفين لا يعني جواز ما تفعلونه من الضلال، بل هم يعتزلون الباطل ولا يدخلون فيه، إنما لِضعفهم وعدم حِيلتهم لم يقدروا على الهجرة، ولم يقدروا على الدخول في سلك المجاهدين في بلدهم، أي في هدي وُراث إبراهيم عليه السلام من محطمِي الأصنام، فهل يجوز لكم أن تحرموا عزائم المقامات الإيمانية التي تحيِّي دين إبراهيم وابنه محمد عليهما الصلاة والسلام وأصحابهما بمحجة الاستضعاف؟

فَهَبْ أنكم مستضعفون ـ ولستم كذلك على المعنى المُتقدم ـ فلماذا تُوجِبون على غيركم مرتبة التغيِّير بالقلب وهي مرتبة أضعف الإيمان مع رغبتهم بأن ينالوا أعلى المراتب، وهي مقام حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، وهو أن يموت المرء في سبيل كلمة الحق؟.

أما ما هو معنى فِعل الفاروق الذي جهلتموه، فهذا من فقه الصَّحابة، ذلك أنهم يعدون أنفسهم لِوراثة الأرض، ومحاربة المُشركين، يقولون هذا ويُعلنونه، ولا يخجلون منه، وهم في لحظة الإعداد للوراثة يُصادمون الجاهلية بما معهم من طاقة ووُسع، لا كما يظن البعض من معنى الإعداد الذي لا وجود له إلا في الأوهام والأحلام، وهو البناء خارج دائرة الصراع مع الجاهلية حتى يتم الانقضاض عليها في لحظةٍ واحدةٍ، فمثل هذه الأقوال هي الجهل بسنن الحياة، إذ

لا يمكن تصور وُجودها إلاَّ في الذهن فقط ككل الاحتمالات الفِعلية التي تضحكون بها على أتباعكم، وذلك حين ترسمون لهم تلك الخُطط الحاملة من الوراثة والتمكين خارج دائرة الصراع والمُواجهة مع الأعداء.

فالفاروق لم يفهم دين الله أن يكون جزءاً من سلطان الآخر الجاهلي، ويَبني نفسه على هذا الفهم كما يفعل اليوم أهل الجهالات تحت دعوى الاستضعاف، بل فَهِمَ دين الله أنه وراثة للآخر، ولذلك فهو يسلك من السبل ما يحقق هذا، فشتان بين فهمكم للاستضعاف الذي صنعتم له فقهاً يعني أمراً واحداً أن تُبقوا المسلمين مستضعفين إلى الأبد، وأن تُوجبوا لهم فقهاً عجيباً تلغون به أركان التوحيد، وعقائد الولاء والبراء، وأن يُصبح المسلم قابلاً مُطمئناً لسلطان الجاهلية لا يشعر بالغُربة التي أرادها الشرع للمؤمنين عند الاستضعاف.

بل من عجائب استضعافكم هذا أنكم حرمتم العمل للخروج من هذا الاستضعاف، وشتمتم مَن بلغ مراحل خيرٍ عظيمةٍ للوصول للتمكين وتدمير الجاهلية، فلم يَعُدْ استضعافكم حالةً تكرهونها تُلْجِئْكُمْ إلى ما تكرهون، بل أحببتموها لأنها تلاءمت مع جُبنكم ومكاسبكم من مُداهنة الجاهلية، ولو صار للمسلمين تمكين في بلاد فقيرة يقع عليهم ما قاله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥] لما رحلوا إليه هرباً من الاستضعاف الذي تزعمونه، بل ربما لو كان الواحد من هؤلاء في بلاد التمكين لَرحل إلى بلاد الاستضعاف التي يحب فيها ما يجدون من نعيم وشهوة.

لقد آمن الفاروق أنَّ طريق التمكين ليس بتغيِّير الفقه ليتلاءم مع الواقع، ولكن طريق التمكين أن يسعى للقوى التي تغير هذا الواقع وتُصارعه من داخله، فيقول: لو بلغنا ثلاثمائة رجل لحاربناكم فإما أن تكون مكة لنا أو تكون لكم.

فهذا فقه التمكين، لا قول الجاهلين: «بأننا جزءٌ من الآخر، ومكة لنا ولهم جميعاً، يجمعنا وطنٌ واحدٌ، ونحتَكِمَ لدستور وقانون، ووسائلنا سِلمية، فلا عنفَ ولا تكفير ولا إلغاء..»، هكذا يزعمون، ويظنون أنَّ هذا طريق الوصول بأهون الوسائل وأحكمها.

فانظروا حِكمة السابقين كيف وصلت بهم، وانظروا إلى حِكمة الجبناء المُعاصرين كيف أودت بهم.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

أما إن قول الفاروق إعلان حرب، فمَا المُستنكر في ذلك، وهل دين الله إلاَّ ذلك، فما مِن رجلٍ سمع دعوة رسول الله ﷺ في مكة إلاَّ فَهِمَ منه أنه إعلان حربٍ على المُخالفين من أهل المشرق والمغرب، فهذا رجلٌ من كنده وقد سمع دعوة رسول الله ﷺ يقول لقومه: «أنتم تحملون حرب العرب قاطبة؟»[1].

وهذا رجلٌ من بني كعب يقول لقومه وهم في سوق عكاظ وقد قبلوا حماية رسول الله ﷺ: «ما أعلم أحداً من أهل هذا السوق يرجع بشيءٍ أشر من شيء ترجعون به، بدأتم لتنابذ النَّاس، ورمتكم العرب عن قوسٍ واحدةٍ»[2].

ثمَّ إنَّ قصة بيعة العقبة الثانية مشهورة معلومة فإنَّ العباس بن عُبادة لما أراد أن يستوثق من الأنصار أوهم في نُصرة رسول الله ﷺ قال لهم: « يا معشر الخزرج، هل تدرون عَلاَمَ تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم؛ قال: إنكم تُبايعونه على حرب الأحمر والأسود من النَّاس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكتْ أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا

---

[1] «دلائل النُّبوة»: ١٠٣/٢.

[2] «دلائل النُّبوة»: ١٠٠/٢. والقائل هو: بجرة.

والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة..»[١].

فهذا هو دين الله لا ما زعمتموه من الدين الباطل الذي يرضى القبول بسلطان الجاهلية والعيش في كنفها من خلال فِقهكم المُعاصر، هذا الفقه الذي ركبتموه على معنى من الجهل والجُبن تحت باب الحِكمة ومُلائمة العصر.

الأثر الرابع :-

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ قُرَيْشاً أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ يَوْماً، ائْتَمَرُوا بِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ جَذَبَهُ، حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتَيْهِ سَاقِطًا، وَتَصَايَحَ النَّاسُ، فَظَنُّوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يَشْتَدُّ، حَتَّى أَخَذَ بِضَبُعَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ وَرَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ، مَرَّ بِهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إِلاَّ بِالذَّبْحِ**»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنْتَ جَهُولاً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**».

قال الهيثمي[٢]: أخرجه أبو يعلى[٣] والطبراني، وفيه محمد بن عمر بن علقمة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

---

[1] «السيرة النَّبويَّة»: ما قاله العباس بن عُبادة للخزرج قبل المُبايعة. ٢٧١/٢.
[2] «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ١٠/٦/ح٩٨١٣.
[3] «مسند أبي يعلى الموصلي»: ٣٦/٢٤٠/ح٧٣٤٠.
وهو أيضاً عند: ابن حبان في «صحيحه»: ١٤٦/٦/ح٦٤٥٥. و«مصنف ابن أبي شيبة»: ٨/٤٤١/ح٣٢٣٥٠. و«دلائل النُّبوة»: ٦٧/٦.

فقوله ﷺ: «**جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**» أخرجها أحمد[1] في قصة بنحو ما تقدم حيث قال ﷺ: «**أَتَسْمَعُونَ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لقدْ جِئْتُكُمْ بالذَّبْحِ**».

قال الهيثمي[2]: «قلتُ: في الصحيح طرفٌ منه.

رواه أحمد، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح».

قلتُ: وأصل الحديث في صحيح البخاري بغير هذه الكلمة[3].

قال الفُقهاء الجُدد: هذا الأثر لا نُفتي بمعناه، ولا ننصح المسلمين اليوم به، لأنَّ في لفظه ما لا نحب للمسلمين في زماننا أن يكون في قلوبهم وعُقولهم، ولا كذلك في قلوب غير المسلمين، فإنَّ كلمة: «**جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**» تُناقض ما نحب للمسلمين أن يُعَرِّفُوا العالم غير المسلم عليه من الإسلام، من أنه دين السلام والمحبة، ولا يدعو للعُنف والقتل، فهذه التهمة هي ما يحاول أعداء الإسلام أن يُلصقوها به، وينصرهم في هذا أهل الجهل ممن يزعمون الجهاد اليوم، إذ أساؤوا للإسلام وأهله بأقوالهم وأفعالهم التي تُشبه هذه الكلمة أو تَسير على هُداها.

إنَّ الذبح الذي يقول به هذا الأثر أمرٌ دخيلٌ على الإسلام، ولم يفعله رسول الله ﷺ، بل كان يدعو إلى الله بالحِكمة والموعظة الحسنة، ولو ترك الجاهلون مَن يُسمَّون بالمجاهدين هذه الأفعال مِن كسر الأصنام والقتل والتدمير لانْتَشَرَ

---

[1] «مُسند أحمد»: ٢/٤٣٨/ح٧٠١٦.

[2] «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٦/٩/٩٨١٢.

[3] وأخرج البخاري في «خلق أفعال العباد»: ١/٥٧. بهذا اللفظ: «والذي نفسي بيده، لقد أرسلني ربي إليكم بالذبح».

الإسلام، أو لأحبه أعداؤه، لكن مثل هذه الأقوال والأفعال هي التي تنشر كراهية الإسلام في قلوب غير المسلمين.

إنَّ هذا الأثر مما ينبغي أن يُضرب عليه اليوم، وأن يُستر ولا يُنشر، فإن قال به أحدٌ رُدَّ عليه بأنَّ هذا له سببه الخاص الذي امتنعَ وُجوده في يومنا هذا.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: كل هذا الذي تقولون يَليق بالقلوب التي ماتت فيها معاني اليقين بموعود الله تعالى بنصر المؤمنين ووراثتهم الأرض، ولذلك فإنَّ كل كلمة تسمعونها عنِ الجهاد وأعماله، وعن موعود الله القادم بالنَّصر والتمكين تُصيب أرجلكم بالاهتزاز جُبناً وخوفاً، كأنَّ حالكم كما قال الله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤]، إذ قلوبكم لجبنها شغلها هَمُّ إرضاء الكافرين عليكم، ولأنَّ في القلوب تعظيماً لأهل الشرك ومحبةً لهم فشغلكم لا تحقيق مقاصد الإسلام من الغزو والتمكين، بل شغلكم أن تسمعوا من كلمات النفاق التي يقولونها لكم بأنكم أهل اعتدال وسلام ومحبة وإنسانية، فأنتم لذلك تكرهون من الدين ما يحقق هذا لكم، وتتمنون أن يُزال كل ما في الإسلام من حق يكرهه هؤلاء الذين أُشربت قلوبكم حبهم وتعظيمهم.

لقد صار من أُصول الفقه عندكم ترك الدين الذي يكرهه الكافرون، ذلك لأنَّ ما يكرهه هؤلاء هو سبيل غَلبة الدين وتمكينه، وهو الذي يُزيل سلطانهم وظُلمهم، أما الذي يحبون فهو الذي يبعثكم ويبقى المسلمين في مرتبة الهوان والضعف، فهم يرضون منكم حال السكون ومجرد الكلام، أما الفعل الذي يقض مضاجعهم ويُزلزل طُغيانهم فإنه يُسمى عندهم إرهاباً ووحشية، وإنَّ من عجائب دينكم الباطل أن تقبلوا هذا لأنفسكم، إذ لأول مرة في تاريخ البشرية يكون همُّ المرءِ إرضاء خصمه عنه وهو يحاربه ويقتله ويسلبه، فما أعجبَ ما أتيتم به من جهالة، وليت همكم هو دخول الأعداء في الإسلام، وتوحيدهم

لربهم، وإيمانهم بالدار الآخرة، بل جُلُّ همِّكم أن يمدحوكم حيث اقتربتم منهم، هذا مع أنَّ الله تعالى نهى رسوله ﷺ عن هذا السبيل التي أنتم فيه وهو يتمنى دخولهم في دين الله تعالى فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود: ١٢]، بل إنَّ الله عاتب حبيبه محمداً ﷺ وهو يُعرض عن المؤمن اتكالاً على إسلامه، ويقبل على الكافرين رجاء إسلامهم فيقول له: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس: ١ - ١٠]، ويحذر رسوله ﷺ من ترك بعض الحق تبعاً لأهوائكم فيقول سبحانه: ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

فها أنتم خالفتم سُنن الحياة، وأعرضتم عن هدي القرآن مع المقاصد الباطلة التي تسعون إليها.

أما زعمكم أنَّ الذبح ليس من دينه ولم يفعله رسول الله ﷺ فهذا من كذبكم على دين الله تعالى، إذ أن أسماء الحبيب المصطفى الضحوك القتال، وقد كان كذلك؛ يعفو عن المُسيء ما وسعه، وأما من عانَدَ دين الله وكاد له أو أراد المسلمين بِشَر فإنه يذبحه ولا يرحمه رحمة الضعفاء، ولا يعفو عنه عفو المُغرَرِ به، فهذا أبو عَزَّة الشاعر[1] عفى عنه رسول الله ﷺ في بدر وأطلقه منّاً عليه لضعفه.

قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله: وكانَ المَنْونُ عَلَيْهِمْ بلا فِدْيَةٍ: أبو عَزَّةَ الجُمَحِيُّ، تَرَكَهُ رسولُ الله ﷺ لِبَنَاتِهِ وأخذ عليه عهداً أَنْ لاَ يُقَاتِلَهُ، فَأَخْفَرَهُ وقاتَلَهُ يومَ أحدٍ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ أَنْ لا يفلتَ، فَمَا أُسِرَ من المشركينَ رجلٌ غيرُهُ، فقالَ: يا محمدُ امْنُنْ عَلَيَّ ودَعْنِي لِبَنَاتِي وأُعْطِيكَ عهداً أَنْ لا أعودَ لِقِتَالِكَ، فقالَ

[1] أبو عَزَّة الجُمحي واسمه عمرو بن عبد الله.

النبيُّ ﷺ : «**لا تَمْسَحُ على عَارِضَيْكَ بِمَكَّة تقولُ: قد خَدَعْتُ محمداً مرتينِ**» ، فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ»[١] .

ورسول الله هو مَن حرض على قتل كعب بن الأشرف[٢] ، وأما موقعة قتل بني قُريظة[٣] فغير مجهولة في عين التاريخ.

أما إنكاركم لهذه المقالة تُقال في زمن الاستضعاف في مكة ، وظنكم أنَّ هذا لا يليقُ أن يقوله المرء وهو ضعيف فهو من جهلكم في هذا الحال ، وقد تقدم الرد على هذا في الحديث السابق.

أما لو سألتم كيف يقولها رسول الله ﷺ لهم وهم يحيطون به ، وفيهم الوسع للفتك به وقتله ، فهذا هو منهج الحبيب في تعليم أُمته أن تقول الحق في لحظة الاستضعاف رجاء الأجر وتحصيل الثواب ونيل الشهادة ، لذلك لأنَّ وقت العِزَّة والتمكين يكون فيه الأتباع كثيرٌ ، والصارخون بالحقِّ لا تميُّز لهم ، وإنما يكون السبق والتمايز عندها يقل الناصر ، ويضعف المُدافع ، فتخلو ساحة الحق إلاَّ من رجال الصدق والمقامات العُليا ، وبهذا يكون المفردون.

ثمّ إن في هذا القول تعليم لأُمة الإسلام أن يثقوا بموعود الله القادم ، فإنَّ المسلم القائل بالحقِّ يتوعد أهل الكُفر بالذبح وهو تحت سيف القتل صبراً.

نعم يقولها لهم أنَّ الذبح مصيركم ، فإنكم إن قتلتموني فسيكون من رجال الإسلام مَن يدخل إلى مخادعكم ويعمل فيكم قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة : ١٢]. ويحيي فِعْلَ فيروز الديلمي وهو يدخل على الأسود العنسي

[١] «السنن الكُبرى» للبيهقي : ١٣/٣٣١/ح١٨٤٠٠ . «دلائل النُّبوة» للبيهقي : ٣/٢٨٠.

[٢] «صحيح البخاري» : ٢/٨٨٧/ح٢٤٦٤ ، ٣/١١٠٢/ح٢٩٦٤ ، ٣/١١٠٣/ح٢٩٦٥ ، ٤/١٤٨١/ح٣٩٤٩. «صحيح مسلم» : ١٢/١٢٧/ح٤٦١٩. «سنن أبي داود» : ٧/٤٥٣/ح٢٧٦٩. «السنن الكبرى» للبيهقي : ١٠/١٥٤/ح١٣٤٤٢ ، ١٣/٣٦٥/ح١٨٤٧٧. «السنن الكبرى» للنسائي : ٥/١٩٢/ح٨٥٤٧.

[٣] «صحيح البخاري» : ٤/١٥١١/ح٤٠٣٣. «صحيح مسلم» : ١٢/٧٦/ح٤٥٥٢.

مخدعه ويجتز رأسه[١]، لأنه هكذا هي وراثة شباب الإسلام ورجاله، لا يبيتون على ضَيْمٍ، ولا يستكينون لذلةٍ، أما هؤلاء الذين يُفرطون بدماء إخوانهم حيث عُلِّقُوا على المشانق ثم خرجوا من السجن إلى أبواب القصور يكتبون كلمات الحمد لجلاد إخوانهم، فهؤلاء ليسوا على هدي الإسلام، ولا على هدي الرجولة التي يُصاحب المرء عليها، وإني لأعجبُ لمن يدخل في دين هؤلاء ويكون من أتباعهم وهو يعلم أنهم ليسوا من الوفاء لدمه لو قُتِلَ في شيءٍ.

«**لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**» يقولها المؤمن وهو مستضعفٌ ثقةً بوعد الله أنه لا بدَّ لهذا من يوم، ولما كنتم لا تعلمون لهذا اليوم ولا ترجونه فإنكم أعرضتم عنها وكرهتموها لأهل الإسلام.

الأثر الخامس:-

قال ابن كثير[٢]: أخرج ابن إسحق عن أم سلمة رضي عنهما قالت: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتَ صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟

قالت: ففزعوا خطام البعير من بعده وأخذوني منه.

[1] «السنن الكبرى» للنسائي: ٥/٢٠٤/ح٨٥٧٨. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: ٥/٥٩٥/ح٩٦٩٣. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. «جامع المسانيد والمراسيل»: ١٧/٤٦٤/ح١٠٨٧٣: عن أَبي هُريرةَ Z : «أَنَّ النَّبيَّ ذَكَرَ الأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ فَقَالَ : قَتَلَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيْرُوزُ الدَّيلمي رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ». (ابن منده كر). «جامع المسانيد والمراسيل»: ٢٠/٢٢٨/ح١٦٤٧٢: عن عَبْدُ اللهِ بن الدَّيْلَمِي ، عَنْ أَبِيهِ Z قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبيَّ بِرَأْسِ الأَسْوَدِ الْعَنْسِي الَّذِي قَتَلْتُهُ بِالْيَمَنِ». (الدَّيْلَمِي، وَقَالَ فيروز: هذَا هُوَ جَدُّنَا مِنْ بَني ضَبَّةَ، كر).

[2] «البداية والنهاية»: ٣/١٦٨.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنتُ أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها، حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني. فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالوا: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئتِ.

قالت: فرد بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حِجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد مِن خَلْقِ الله، حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟

قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟

قلت: ما معي أحد إلا الله وابني هذا.

فقال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهدي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا

نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة نازلاً فيها ـ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة. فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة».

أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدي هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد رضي الله عنهما.

قال الفُقهاء الجُدد: في هذا الحديث معنى نعيب على المُقتدين به، ونعير به لو فعلوه، فإنه ليس من الرجولة ولا من مكارم الأخلاق أن يفر المرء بدينه، ويُهاجر إلى مواطن الخير تاركاً زوجته وأولاده على هذا الحال الذي وُصف في هذا الخبر، فإن هذا الفِعل لا نراه مشروعاً، ومن اقتدى في زماننا هذا عيرناه وقدحنا في دينه ورجولته.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: أما الرجولة التي تنعونها على المُخالفين فما أنتم من أهلها، ولستم معروفين بمكارمها، بل يُقال لكم كما في المثل: «لو ذات سوار لطمتني»، فإنَّ الرجولة التي نحبها لكم أن تكونوا شُجعاناً في قول كلمة الحق، تصرخون بها وأنتم ترون السجون والجلادين ينتظرونكم، وليتَ الدافع لكم لما تقولون هو الغيرة الإيمانية على الأعراض المسلمة، إذ لو كنتم كذلك لانتصرتم لآلاف الحرائر المسلمات اللواتي سُجن رجالهم ظُلماً وعُدواناً، ولأقمتم الحروب

ضدَّ مَن منع الحجاب وحاربه من كُفار العرب المرتدين والكفار الأصليِّين ولما قال الدجال الكبير المُعمم بلغة السوقية وأبناء زوايا الخنا والعهر: «كل واحد حر في بلده».

لو كانت عندكم الغيرة الإيمانية على الأعراض المسلمة لما سكتم عنِ السافرات من نساء الملوك الذين تمدحون دينهم وتعملون بأوامرهم.

لو كانت عندكم الغيرة الإيمانية على أعراض المسلمات لما منعتم الجهاد ضدَّ من أقام مؤتمرات الإسكان التي يُدعى فيها إلى جواز المُعاشرة بين الرجال والنساء خارج إطار الزواج.

لو كانت عندكم الغيرة الإيمانية على أعراض المسلمات لأشعلتمُ النَّار تحت جنودِ الكُفر الذين عابوا على أهل الإسلام بأن تتبرقع نساءهم في بلاد الإسلام لا بلاد الكفر، إنما ذهبتم ـ دياثة ـ بمنع شباب الإسلام من جهادهم.

فهل سكتم عن كلِّ هذا، وما هو مثله وأعظم منه مما تعلمون ويعلم كل مُبصرٍ، ثم أطلقتم ألسنتكم ضدَّ المهاجرين والمجاهدين الذين يستجيبون لأمر الله فيمضون إلى مواطن الخير، صابرين على فِراق الأهل والأحباب؟! ومِن ضلالكم سميتم هذا على معنى يخالف الرجولة.

لقد هاجر أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ وترك زوجه وبناته ولم يترك لهم شيئاً، لا يمنعهم من جهالة أبي جهل أحد كما جاء في الخبر عن أسماء رضي الله عنها قَالَتْ: «فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ وَأَبُو بَكْرٍ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ فَوَقَفَ عَلى بَابِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكِ يَا ابْنَةَ أَبِي بَكْرٍ؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللهِ أَيْنَ أَبِي، فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ، وَكَانَ فَاحِشاً خَبِيثاً، فَلَطَمَ خَدي لَطْمَةً طَرَحَ مِنْهَا قُرْطِي..»[1].

[1] «جامع المسانيد والمراسيل»: ١٣/٢٧/ح٦١، ١٨/١٨٦/ح١١٩٩٥.

فهل تقولون هذا للأتقى الذي قال الله فيه: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ – ٢١]؟!.

إنكم لا تفهمون معنى الابتلاء في سبيل الله؟ لكنكم تجيزون أن ينفر آلاف الشباب إلى الغرب ليعيش بين المعاصي من أجل تحسين حاله المادي ومرتبته الدنيوية، وتعدون هذا فِعْلاً ممدوحاً، وكذلك لا تعيبون على من تركَ أهله الشهور والسنين من أجل الدنيا والسعي في تحصيلها، لكن لما هاجر الشباب إلى الله وإلى مواطن الجهاد انتفضَ فيكم هذا العِرق الميت من الغيرة على الأعراض فسالت منكم كلمات لا نعرفها من معاني قلوبكم قط.

إنَّ كلماتكم هذا ليست غيرة على الأعراض، بل هي تخويف المجاهد والمُهاجر كما يخوفه الشيطان، يلغي على مسامعه موانع الهجرة، وموانع الجهاد حتى ينكص ويستكين، ولو كنتم على فقه ابن الخطاب رضي الله عنه لَقُلْتُمْ كما قال عياش بن ربيعة وقد هاجرا معاً، حيث قال: «فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ـ وكان ابن عَمها وأخاهما لأمهما ـ قدما علينا المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلتُ له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلاَّ ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت»[1].

[1] «السيرة النَّبوية» لابن هشام: أبو جهل والحارث يُغرران بعياش بن أبي ربيعة: ٢/٢٩٩. «البداية والنهاية»: ٣/١٦٨.

إنكم قد علمتم أنَّ النَّاس من المؤمنين لن ينفروا للجهاد إلاَّ بسبب غِيرتهم على دين الله الذي انتُهِكَ، وعلى بلاد المسلمين التي استُبيحَت، فأردتم لهمُ القعود إلى النساء والأولاد والدنيا كما فَعلتم أنتم، فذهبتم تُعيرونهم بأمر تعلمون أنه يجدِ الصدى في قلوبهم، لأنَّ أخص خصيصة المجاهدين اليوم وفي كلِّ يومٍ أنهم أهل غيرة إيمانية، لا ينامون على ضيمٍ، ولا يقبلون إلاَّ معالي الأمور والمقامات.

لقد باء المجاهدين بمقامات السابقين المُبتلين في أهلهم وأموالهم في سبيل الله، فإلى أيِّ شيءٍ صِرتم أنتم من المقامات سوى ما يكرهه الله والمؤمنين؟.

الأثر السادس:ـ

قال ابن كثير[1]: «أخرج ابن إسحق عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ، خَمْسَةَ آلافٍ أَوْ سِتَّةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ.

قَالَت: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ ـ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ ـ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأُرَاهُ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ.

قُلْتُ: كَلا يَا أَبَهْ، قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْراً كَثِيراً.

قَالَتْ: وَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْباً ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَه ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا المَال.

قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: لاَ بَأْسَ إِذَا كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا بَلاَغٌ لَكُمْ، وَلاَ وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئاً، وَلَكِن أَرَدْتُ أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.

قال الكاندهلوي: وأخرجه أحمد[1] والطبراني بنحوه.

---

[1] «البداية والنهاية»: ١٧٧/٣. «السيرة النَّبويَّة» لابن هشام: موقف آل أبي بكر بعد الهجرة: ٣٧١/٢.

قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحق وقد صرح بالسماع.

قال الفقهاء الجُدد: في هذا الخبر معنى لا نقول به، ولا يكون منا إلاَّ العيب على فاعِله كما عِبْنَا على مَن هاجَر وتركَ أهله وراءه من غير حِمايةٍ ومانعٍ، فهذا المهاجر أو المجاهد الذي يُنفق كل ماله في الهجرة والجهاد ليس مُهتدياً ولا متأسِياً بالشرع، فإنَّ المال مهم في زماننا أكثر من السابق، ولذلك فإنا نُراعي في فتوانا للنَّاس عدم التهاون ولا تضيِّيعه، بل نُرغب في تكثيره كما قلنا في جواز الربا في دار الحرب لما في ذلك من منفعةٍ لأموال المسلمين، فكيف نقبل هذا الخبر أو نُفتي بمعناه أو قريباً منه، ولذلك مَن خاف الضرر على ماله إن قدَّم بعضه للمجاهدين أن يمتنع عن هذا، وأن يحبسه عنهم حتى لا يضر ماله فيفقده، فهذا هو الحال اليوم، فما أن يُعلم عن صاحب مال أنه قدمه للمجاهدين أو للمهاجرين أو لعائلاتهم حتى يضر في ماله، ولذلك فنحن نُفتي المسلمين بأن يُراعوا مصالح أموالهم، وذلك نبهنا عن هذه الجهالات التي تسبب لهم الضرر، ثم إنهم في سعة من إنفاق ما يحبون من الزكاة والصدقة في أبواب شرعية لا يلحقهم بسببها الضرر، بل لهم فيها منافع أخرى غير الأجر من الله تعالى.

قال أهلُ الحقِّ والإيمان: أما إنفاق كل المال في الجهاد ونُصرة الدين فهو فِعْلُ الصدِّيقين، وهو فِعْلُ إمامهم في هذه الأُمَّة، فهو الذي أتى بكلِّ ماله ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ كما في القصة المشهورة عن الفاروق رضي الله عنه ومحاولته السبق والمُنافسة له كما هي عند أبي داود[2] والترمذي[3]، فعلم أنَّ هذه مرتبة أخ خاص لرسول الله ﷺ ألاَّ وهو أبو بكر الصديق، فعيبكم على هذا

1 «مسند أحمد»: ٧/٤٩١/ح٢٦٥٥٢.
2 «سنن أبي داود»: ٥/٩٤/ح١٦٧٩.
3 «سنن الترمذي»: ١٠/١٢٣/ح٣٨٢٩. قال أبو عيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

الفِعل كعيب المريض على صفاء الماء، ولا غَرْوَ أن يقع ذلك منكم فلا تفقهونه، لأنَّ مراتبكم لم تفقه ما هو واجبٌ فكيف تفقه المُستحب بل الإحسان ومقام الصدِّيقين؟!.

إنَّ هذا المقام هو مقام مَن يتوكل على الله سبحانه وتعالى حق توكله فيقول لسائليه: «أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ»[١]، ليقينه أنَّ الله حَسْبه وهو كافِيهِ، أما الذين يبحثون عن زلاتِ الفقهاء ليجعلوها ديناً حين تحقق لهمُ الشهوات والأهواء فلن يرضوا هذه المقامات، وستنكرها قلوبهم، لأنَّ مَن حرص على الجمع فرآه خير ما يفعل في هذه الدنيا، لن يفهم فقه العطاء الذي كان عليه رسول الله ﷺ وقد وُصِفَ «فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ»[٢].

ومما لا تعلمونه في هذا الباب أنَّ أمر الإنفاق على الدين وأهله، وعلى الجهاد وأصحابه ليس هو معنى الصدقة على الفقير والمسكين، ولا هو على معنى الوصية، فأن يتصدق المرء بكلِّ ماله على الفقراء يجعل من نفسه فقيراً يحتاج هو وأهله إلى الصدقة بعد ذلك، وكذلك الوصية بكلِّ المال للآخرين لا تجوز لما قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»[٣]، فإنَّ دفع الفقر عنِ الآخرين ليكون المرء وأهله فقراء غير سديدٍ في الشرع ولا في الفِعْلِ، وهذا غير المعنى في اتفاق المرء على الجهاد وأهله، ففي إصابة المرء الجُهد بالفقر والحاجة في سبيل نُصرة الدين ورِفْعَةِ

---

[1] «سنن أبي داود»: ٥/٩٤/ح١٦٧٩. «سنن الترمذي»: ١٠/١٢٣/ح٣٨٢٩. قال أبو عيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ. «المُستدرك على الصحيحين»: ١/٥٧٣/ح١٥٤٣. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. «سنن الدارمي»: ١/٣٩١/ح١٦٦٦. وبوب له تحت باب: **الرجل يتصدق بجميع ما عنده.** «مسند البزار»: ١/٢٦٣/ح١٥٩، ١/٣٩٤/ح٢٧٠.

[2] «صحيح مسلم»: ١٥/٦١/ح٥٩٧٣.

[3] «صحيح البخاري»: ٥/٢٣٤٣/ح٦٣٧٣. أطرافه ٥٦، ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٧٤٤، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٣٥٤، ٥٦٥٩، ٥٦٦٨، ٦٧٣٣. «صحيح مسلم»: ١١/٦٤/ح٤١٦٣.

شأنه كباب تعريض المرء نفسه وبدنه للفناء أو الأذى بالجهاد في سبيل نُصرة الدين ورفعة شأنه.

لكن لما كان أمر الدين ليس عظيماً في قلوبكم، بل لا ترونه يستحق أن يُبذل له، لِما تعودتم من الحال أن تأكلوا باسم الدين، فتنفتنوا بسبب وظائفكم فيه، ويُهدى لكم لذلك رأيتم أنَّ البذل للدين لا يستحق هذا المعنى في زمانكم.

إنه ليس من عجيبِ الأمر أن لا يُعرف عنكم إلا الإنفاق على الشهوات حتى صارت بيوتكم كقصور الظلمة المُترفين الذي قال الله في أئمتهم: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ [الأحقاف: ٢٠]. كما لا يُعرف عنكم البذل إلاَّ على نسائكم وأولادكم، فمن كان هذا شأنه فإنَّ عيبه على مثل أفعال الصدِّيق لا يكون غريباً ولا عجيباً.

لقد عاد الدين وأهله غُرباء، لا يعرف النَّاس فقه ما يفعلون ولا ما يقولون، إذ غلب على النَّاس حبُّ الشهوات واتباعها وغلب على أهل الدين الرغبة في الدنيا والإعراض عن ذِكر الدار الآخرة، فصارتِ الفتوى على هذه المعاني في حياة النَّاس، ولقد كان النَّاس قديماً يصرفون الحق ويعترفون بالتقصير، لكن بسبب جهالة الفقهاء الجُدد لمعالم الدين وحقائقه جعلوا الباطل ديناً، وجعلوا الشهوة سنَّةً، وجعلوا معاصي النَّاس شرعاً يُتبع، ولذلك فليس غريباً عنكم أنكم أفتيتم للمسلمين جواز الربا في دار الحرب، لا لأنَّ مقتضى الفقه وأدلته قوَّت لكم هذا الرأي، بل لأنَّ هذا القول يحقق لكم مرجح القول بين المذاهب، هذا المرجح هو تحقيق الشهوة وحب الدنيا.

لقد قال بعضكم بجواز الربا في دار الجرب اليوم للمسلمين، فهلا اتقيتم الله وسميتم هذه الديار بديار حرب فاضطرد هذا الفقه لديكم في مسائل دار الحرب التي تقرؤونها في كتب الفقه؟ أم أنكم شققتم الفتوى نصفين، مع أنَّ بابها

واحدٌ، فأخذتم ما تحبون وتركتم ما لا تشتهون؟ فهل هذا هو الفقه الشرعي أم هو التشهي كما سماه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ثمَّ إنَّ أحدكم ـ وهو كبيرٌ فيكم ـ أجاز أخذ الربا لبناء البيوت في بلد من بلاد الإسلام التي حكمها المرتدون، لأنها عنده دار حرب كما قال، فهلا قال لنا ولكم إنْ صدق مع الله ومع المؤمنين ومع فقه الأئمة الهُداة لِمَ صارت هذه الدار دار حرب، وإن كانت كذلك فما هو واجب المسلمين تجاه الطائفة التي حولتها من دار إسلام إلى دار حرب؟

لقد أخذ القوم من الفقه ما يحقق لهم متاع الحياة الدنيا وزَهرتها، فهي دار حرب في الأبواب المالية التي تزيد أحوالهم وشهواتهم، وهي كذلك ليست دار حرب ولا دار ردة في الأبواب التي تُوجب على المسلمين الجهاد وغير ذلك من التكاليف الإيمانية.

هكذا صار الفقه الجديد، وهذه هي أصول الفقه عندهم، ثم يُقال بعد ذلك في هؤلاء أنهم أهل الذكر الذين وجب على المسلمين أن يقتدوا بهم في الجهاد والموت والرغبة في الدار الآخرة.

لقد قال الفاروق كلمة عظيمة، غمط فيها نفسه فقال: «مَن أراد المال فليأتني، ومَن أراد الفقه فعليه بفلان، ومَن أراد القرآن فعليه بفلان»، ونحن نقول: مَن أراد فقه الدنيا ومحبتها والرغبة في زيادتها فليأتكم، ومَن أراد الدين والجهاد والدار الآخرة فلا يقفْ ببابكم، بل فليلحقْ بأهل هذا الباب من وُراث مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام وكسره للأصنام.

الأثر السابع :ـ

عروة بن الزُّبيرِ عنِ المِسْوَر بن مَخْرمةَ ومروان بن الحكم ـ يزيد أحدهما على صاحبهِ ـ قالا: «خرج النبيُّ ﷺ عام الحدَيبيةِ في بضع عشرةَ مائةً من أصحابهِ.

فلما أتى ذا الحُلَيفةِ قلد الهدْي وأشعرَه، وأحرَمَ منها بعمرةٍ، وبَعثَ عيناً لهُ من خُزاعةَ. وسار النَّبيُّ ﷺ حتى كان بغدير الأشطاطِ أتاهُ عينهُ قال: إنَّ قُريشاً جَمَعُوا لك جُمُوعاً، وقد جَمعوا لكَ الأحابيشَ، وهم مُقاتِلوكَ وصادُّوك عنِ البيت ومانعوك.

فقال: «**أشيروا أيُّها الناسُ عليَّ، أترَونَ أن أمِيلَ إلى عِيالهم وذرارِيٍّ هؤلاءِ الذين يريدونَ أن يَصدُّونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عزَّ وجلَّ قد قطعَ عيناً من المُشركين، وإلاّ ترَكناهم مَحروبين**».

قال أبو بكر: يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت لا تُريدُ قَتْلَ أحدٍ ولا حربَ أحدٍ، فتوجهْ له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه.

قال: «**امْضوا على اسم الله**». رواه البخاري[1].

قال الفُقهاء الجُدد: هذا الحديث لا نفهم معناه، ولا ندري وجهه، ولا نقول به، إذ كيف يزمع رسول الله ﷺ أنْ يميل على النِّساء والأطفال الذين خرج رجالهم وحُماتهم لقتاله، فيترك قِتال الرجال والمحاربين إلى استهداف المدنيِّين فيسبيهم أو يُبيتهم بغارة؟

لقد علمنا من واقعنا أنَّ خصومنا همُ المحاربون المُقاتلون، وأما المدنيُّون من غير المُقاتلين فإنَّ قانون الحرب والقتال يمنع استهدافهم بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الأذى، والإسلام دين الرحمة والإنسانية فهو أولى بهذا القانون والنظام من غيره، ولذلك فما يقوله هذا الحديث من استخدام المدنيِّين العُزل من غير المسلمين في حسم المعارك وإضعاف الجنود والمقاتلين والمحاربين غير سديدٍ، وإننا لا نحب أن يُنسب هذا للإسلام، فإنَّ مجرد نسبته له يُسيء لدين الله ويُقوي التُّهمة ضدَّه أنه

[1] «صحيح البخاري»: ٤/١٥٣١/ح٤٠٨٧.

دين الوحشية، وهذا ما نحاول جاهدين أن نُبرئ الإسلام منه، وإنما شعف قولنا ودعوتنا وجهودنا في ذلك هو المُتهورون من زاعمي الجهاد اليوم.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: هذه رِقَّة في قلوبكم نحبها منكم، فإنَّ الرحمة في القلوب سمات الصالحين، لكننا نحب أن تكون صادقة، وعلامة صدقها أن تكون مُضطردة في الخَلق، وخاصة على المستضعفين، فإنْ صحت هذه الرِقَّة في قلوبكم فإنَّ أكثر النَّاس انتفاعاً بها هم أهل الإسلام، وخاصة أطفال ونساء من أكرم الله بلادهم بالجهاد، لكن الواقع يُثبت أنَّ رِقَّتَكُم هذه رِقَّة مُزيفة كاذبة، فصُراخكم وبُكاؤكم واستنكاركم لما يُصيب نساء وأطفال المُستكبرين أشدَّ وأشدَّ مما نراه حين يكون البلاء على أهل الإسلام، بل إنَّ بعضكم لا نرى له هَمْسَةً ناعمةً لا صرخةً مُدويةً عند البلاء على أهل الإسلام، ولذلك فإن إزالة عامِلِ الشفقة في هذه المسألة خيرٌ لكم في الحُكم، ولِنَأْتِ لغيرها لعلَّكُم تفقهون.

إنَّ ما تزعمون من قانونكم الإنساني المُعاصر في عدم إدخال غير المقاتلين في تحقيق أهداف القتال بين المُتصارعين لا وجودَ له أبداً في حياة البشرية قط، لا قديماً ولا حديثاً، وإنما يقوله المُنتصر بعد تحقيق أهدافه وبسط سُلطانه بالطُرق التي تحقق له أهدافه، ثم ينشرها في الآخرين حتى يمنعهم من مُنازعته في تمكنه وتغلبه، وهذا ما وقع فإنه بعد أنْ دمر أحد الخصمين من المشركين الآخر فيما يُسمى بالحرب الكونية الثانية، واستخدم في هذا التدمير كل ما يرغب، ويحقق له انتصاره، حتى رمى بالقنابل الذرية على المدن، وأباد في حربه قُرىً كاملةً، ودمر مُدُناً بأكملها، ثم لما استقرَ له أمره قال للنَّاس هذا الكلام الأجوف الخادع، والأمر لم يتوقف من المجرمين بعد ذلك، بل هو سُنَّة مضطردة لا تتخلف في حُروبهم وقِتالهم، فزعمكم أنَّ المسلمين أَولى بهذا النظام والقانون من غيرهم كذبٌ على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، إذ لا يُوجد غيرهم في هذا الباب

أرحم من المسلمين في جهادهم قديماً وحديثاً حتى تضربوا لهم أمثال الرحمة بما يقوله المُشركون اليوم.

ثمَّ إنَّ زعمكم أنَّ استخدام غير المقاتلين في الصراعات لتحقيق أهداف أحدِ الخصمين صار قانوناً مُتبعاً كذبٌ على مُشرعي هذا القانون نفسه من الأنظمة الشركية الدولية، فماذا تُسمون العقوبات الاقتصادية التي تُشرَّع ضدَّ الدول التي تمتنع عنِ الدخول في أنظمتهم؟ وهل هذا إلاَّ نوع من أنواع الإيذاء والحرب ضدَّ غير المقاتلين لتحصيل مقاصدهم في خُصومهم، إذ المُتضررون هم عامة النَّاس لا غير، ومع ذلك يُشرِّعُونه ولا يرون به بأساً، وأنتم في قلوبكم لا تُنكرونه من أصله، بل حين تُنكرونه، إنما تُنكرونه لجوانب أُخرى غير فساده في نفسه.

نقول لكم هذا الخطاب لِما نعلم أنَّ موازين قلوبكم ونفوسكم في معرفة الحقِّ والباطل في قوانين الدفع والقتال هي ما غلب عليكم من شرور الدعوات الكاذبة اليوم، والتي تزعم أنهم أهل إنسانية ورأفة في الحروب وقوانينها، في أنَّ الحروب لا يحكم عليها بهذه الموازين، بل يحكم عليها بمقاصدها ابتداءً، وحروب غير المسلمين إنما هي للباطل والشر، فإما تقوم لنشر الشرك والكُفر والفساد، وإما تقوم للشهوات وسلب النَّاس والاستعلاء عليهم واستعبادهم، وأما جهاد المسلمين فهو بحمد لله لله وفي الله وبالله، فإما أن يكون جهاد طلب فهو لِنشر الدين وإخراج النَّاس من عبادة البشر والحجر والأهواء والشيطان إلى عبادة ربِّ العِباد وحده، ولولا الجهاد وما نشر الله به التوحيد في الأرض لما كان في الأرض إسلام يحقق للنَّاس السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا مقصدٌ عظيمٌ تهونُ أمامه كل الشرور والمفاسد التي تقع، وأما أن يكون جهاد دفع والله يقول: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشورى: ٤١-٤٢]، فالمظلوم مستضعفٌ لا يملك قُدرةً تُكافئُ قُدرةَ الظالم لدفع ظُلمه على قانون الظالم، ولذلك رفع الله

عنه الحرج ليحصل من الوسائل التي يقدر بها دفع الظلم عنه، ثمَّ إنَّ زعمكم أنَّ المدنيِّين لا دخل لهم في المعركة فهذا كذبٌ، إذ أنَّ مظالم الطوائف الحاكمة وجرائم جُنودها لا يعود نفعها عليهم فقط، بل إنما هم يأخذون ما يأخذون من حقوق أمم الأمم والشعوب ويتنعم بها من تُسمونهم بالمدنيِّين، ثمّ إنما الطوائف بشعوبها، والجنود منهم ليسوا مُستوردين من أُممٍ أُخرى إنما هم منهم كما قال رسول الله ﷺ في حديث الصعب بن جَثَّامة في الصحيح[1]، هذا كله في ميزان ما تعقلون من خطاب، لكن جهالاتكم جاءت من بابٍ آخرٍ، وهي صداقاتكم، ومِن إلقائكم السمع لطوائفٍ من الُمشركين يزعمون أنهم على غير طريق حُكوماتهم، وأنهم يحبون العدل والسلامة بين الأُمم، وربما وافقوكم في بعض المظالم التي تتحدثون عنها، فتذهبون لِتُعمموا ما تسمعون، فتُفرقون بين ما تُسمونهم بالمدنِّيين والُمقاتلين، لكن هذا من الوهم الخادع، ومِن قِلَّة الصبر بحقائق النَّاس في دار الحرب والكفر.

من هم البرءاء فيهم؟

هل هم أهل هؤلاء الجنود وأصدقائهم، ومن يستقبلونهم استقبال الأبطال إن عادوا إلى ديَّارهم بعد المعارك؟

هل همُ الأكثرية التي تُؤيد سياسات القادة الذين ساقوا الجنود لقتل أبنائكم وسلب دياركم؟

هل همُ الُمتعاطفون مع «الشرق» ممن يُقال لهم قديماً بالُمستشرقين، وجديداً بأصدقائكم ممن رصدهم الخبير بهم «إدوارد سعيد» في كتابه: «تغطية الإسلام»

[1] «صحيح البخاري»: ١٠٩٧/٣/ح٢٩٤٥. «صحيح مسلم»: ٤١/١٢/ح٤٥٠٣، ٤٥٠٤، ٤٥٠٥.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ. فَقَالَ: «**هُمْ مِنْهُمْ**». اللفظ للمسلم.

وجزم أنه لا يُوجد واحدٌ منهم إلاَّ وهو مستشارٌ لحكومةٍ ينصح لها بعينها في مقاصدها ضدَّكم؟

ثمَّ ها هو الميدان أمامكم، وبيدكم اختبار عدل وإنصاف مَن تزعمون، سلوا واحداً منهم أن يُعلن أمام قومه أنَّ للشعوب والأُمم التي خضعت لأحذية جنود حكوماتهم أنَّ لهذه الشعوب الحق أن تقتل هؤلاء الجنود المخلين، كما يُعطون الحق لشعوبهم أن تقتل جنود من احتلها.

إنكم لن تجدوا واحداً، أقول واحداً، لأنه يعلم أنَّ هذا خيانة لأُمته، وجريمة يُعاقب عليها، فهو لن يقبل تهمة الخيانة لأُمته تحت باب إنصافٍ مزعومٍ، ولن يقبلَ أن يُعاقب من أجل صَداقتكم التي يحرص عليها ـ كما تظنون ـ.

لكن الشرَّ فيكم، فأنتم على استعدادٍ أن تعطلوا مقاصد الأُمَّة بتحصيل العِزَّة والتمكين مُقابل تلك الصداقة الزائفة.

أما ما يقوله الشرع والحق فإنَّ هذا التقسيم للمشركين والكفار في دار الحرب بين مقاتل (تُسمونه محارباً) وبين مدني غير مقاتل فهذه قِسمة باطلة، لا تمت للشرع بصلة، بل هي من هديِّ المُشركين لا المُهتدين بهديِّ القرآن الكريم، وأنتم قبل أن تُلزموا المسلمين بهديِّ المشركين، فإنَّ الإنصاف منكم أن تُلزموا المُشركين ما التزموا به من دينٍ وشرعٍ.

أما إنْ لم تعلموا هذا من دين الله، فعليكم إعادة قراءة كُتب الفقه والحديث حتى يصح وصفكم أنكم فقهاء إسلام، بدل أن تتسموا بهذا الاسم وما أنتم إلا فقهاء شرع آخر، فإنْ علمتم ما يقوله الشرع فإما أن تقبلوا به فتكونون مسلمين وإما أن ترفضوه فيحِقَّ عليكم قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨]، والله يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الحديد: ٢٤]، [الممتحنة: ٦].

الأثر الثامن :ـ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «حرَّقَ رسولُ الله ﷺ نخلَ بني النَّضير وقطعَ ، وهي البُوَيرةُ ، فأَنزَلَ الله تَعَالَى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الحشر : ٥]. متفق عليه[1] .

قال الفقهاء الجُدد : هذا الفِعل بتحريق النَّخلِ لا نعرفه ، ولا نفتي به ، ومَن فَعَلَهُ اليوم لا يكون مُنْصِفاً ولا مُهْتَدِياً ، بل يُقال له مفسدٌ في الأرض ، فإنَّ الحرب الشريفة النزيهة يجب أن تكون وسائلها كذلك ، وحرق ممتلكات النَّاس دون تفريقٍ بين الأدوات التي يُقاتلون بها وبين غيرها غير ممدوحٍ في العقل ولا في الدين الذي نعلمه ، إذ هذه النَّخل هي لأناسٍ عاديين ، ثمَّ إنها قد تؤول إلى يد المسلمين ، وفي تدميرها وحرقها منعهم من فوائدها لو وقعتْ بيدهم ، فمَن قاتَلَ المُشركين فليقصُدْ شُخُوصاً بعينها ، وأدوات بعينها وهي أسلحتهم ، وأما مُقاتلة المُرتدين في بلادنا ، فإننا وإنْ كنا لا نجيزه ، لكن ممتلكات الدولة هي مِلْكُ الأُمَّة ، وأي إفساد لها إفساد لأملاك الأُمة ، وهذه معصية.

ثمَّ إنَّ هذه النَّخل يأكل منها الطير ، ومنافعها للبيئة عظيمة ، فأثر حرقها مفسدة على الكون بأجمعه لا على أصحابها فقط كما يقصد الحارقون لها.

لقد جاء الإسلام بعمارة الأرض لا بخرابها ، وجاء بالإصلاح لا بالفساد ، والجهاد في سبيل الله تعالى عملٌ شريفٌ يحقق هذه المقاصد ولا يأتي بضدها.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: حقاً إنكم أصحاب أوهامٍ وأحلامٍ ، لا تصلحون لهذه الأرض التي تعيشون عليها ، فإنكم تأتون بالأقوال والعبارات

[1] «صحيح البخاري» : ٤/١٤٧٩/ح٣٩٤٤ ، ٤/١٤٥٢/ح٤٧٦٤. «صحيح مسلم» : ١٢/٤٢/ح٤٥٠٦.

التي نهاية أمرها أن يكون أهل الإسلام غنماً سائمة لا تدفع عنها عاديات الذئاب، ولا يكونون إلاَّ أحلاس بيوتهم يأكلون ويشربون، ويُصارعون الأعداء المُدججين بالسلاح والعَتاد بكلمات الحب، ويُقابلون رصاصهم بالورود، ولو وقع هذا لَكان قوله تعالى فيكم دون غيركم: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فإنَّ مُقابلةَ الفساد المُسلح المُقاتل بأقوالكم هذه هو أقوى عمد نشر هذا الفساد وتجذيره في الأرض، ثمَّ إيَّاكم أن تظنوا أنَّ أقوالكم هذه هي أقوال مهدية أو جميلة في العقول، أو رائقة في النفوس، فإنها والله لدى صاحب العقل الفِطري أشبه بالقاذورات، لا يرضاها سليم الفِطرة سوي النظر، ويكفيكم بأن ترددوا ما قاله أعداء الرسول ﷺ من يهود بني النضير عندما حرق نخيلهم وقطعه فقالوا: «يا محمد، قد كنتَ تنهى عن الفساد، وتعيبه على مَن صنعه، فما بالك تقطع النَّخل وتحرقه»[1].

إنَّ الذين يقولون هذا الكلام، ويزنون الأفعال بهذه الموازين هم أكذب خَلْقِ الله، وأفجر خَلْقِ الله، وأعظم النَّاس فساداً في الأرض، وإنكم تلزمون غَرزهم بهذا، إذ تخرجون الحدث عن فضائه ومعناه، وكأنَّ الصورة أنَّ هناك من يأتي إلى امرئٍ مُسالمٍ، لم يأتِ بشرٍّ قط، بل هو مسقطَ عدلٍ، يأكل من ثمار نخيل، ويُطعم القانع والمُعتر، فأتاه آتٍ بغير سببٍ مُوجِبٍ فحرق عليه نخيله وقطعها، وهذه الصورة هي عين ما يصنعها سحرة الطواغيت اليوم حين يقتل أحد رجالهم، فيأتون بأهله من زوجه وأولاده وأُمه يبكون عليه حزناً، والابن البار، والصديق الوفي، ومع ذلك كلِّه فقد أتاه أهل الإجرام وهو على ذلك من الخير فاغتالوه، وحرموا كل هؤلاء من هذه الصفات النادرة فيه.

[1] «دلائل النُّبوة» للبيهقي: ٥٣/٣. «مراسيل أبي داود»: باب في قطع الشجر.

هذه أوصافٌ تُطلق على جنودهم الذين يقتلون المساكين، وتُطلق على ضباطهم الذين يُعذبون المسجونين، فينخدع بها الجهلة أمثالكم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

تزعمون أنَّ أموال الدول التي يحكمها أهل الردة أنها أموال الأُمة، وكأنكم تخاطبون قوماً من أهل القمر لا أهل تلك البلاد، وتزعمون أنَّ أموال النَّاس من غير المُقاتلين في بلاد الكفر الأصلي لا علاقة لها بقوة الدول التي تُقاتلون جنودها، فهل في رؤوسكم عقول الأسوياء من البشر أم أنتم صنفٌ آخرٌ من غيرهم؟ ثمَّ إنَّ العجب منكم أنكم تزعمون أنكم أهل بصرٍ بالسياسة والاقتصاد، وتعرفون حال زمانكم على وجهٍ يُؤهلكم للإفتاء في النوازل والحوادث.

نعم إنَّ الجهاد في سبيل الله إنما هو لمقاصد الخير للوجود ومن مقاصده كما يقوله القرآن في حادثة حرق نخل بني النضير: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر: ٥]، فإنَّ ما تهربون منه من إيذاء أحبابكم وأصدقائكم هو مقصدٌ قرآنيٌّ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]، لكن لما كان الكُفر بالله عندكم ليس أمراً عظيماً، وليس هو مِعيار البُغض في الله، ولا يُعلَّق عليه منعٌ ولا عطاءٌ، ولا غنيمةٌ ولا فيءٌ، ولا منٌّ ولا فِداءٌ، فإنكم لم تفهموا هذا ولن تفهموه حتى تعلموا أنَّ أعظم مقاصد الجهاد هو تحقيق عبودية الله في الأرض، وإخزاء الكافرين والفاسقين.

إنَّ منع الكافر المحارب من رغدِ العيش، وقلبِ حياته جحيماً، وإفساد ماله الذي ينعم به هو سبيل الأنبياء جميعاً ممن فرض الله عليهمُ الجهاد، فهل تعلمون أنَّ الغنائم لم تحل إلاَّ لأُمَّةِ محمدٍ ﷺ؟، وإنما كان شأنها مع الأنبياء السابقين أن تجمع في مكانٍ واحدٍ ثم تنزل عليها نار من السماء فتحرقها، فهل هذا إفساد وتخريب في الأرض، أم إصلاح لها على منهج الأنبياء؟!.

إنكم لو أنصفتم لَرأيتم معنى وجود المال في يد المحاربين والفاسقين، وكيف يجر الفساد في الأرض، وهذا ما فقهه موسى عليه السلام وهو يُناجي ربَّه سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨]، ولذلك منع الشارع إعطاء السفهاء أموالهم التي يملكونها، بل حجر عليها.

فما هو الخير للوجود والعالم: وجود المال بيد المُفسدين لإفساد النَّاس والعالم أم حرقها وإزالتها من الوجود؟

أما قولكم: إنَّ في إفسادها ودمارها منع من وُصولها ليد المسلمين، فمتى يكون هذا، وتقع بيد المسلمين حينها يتغيَّر الحُكم، لكن هل صار من الفقه عندكم منع ما هو محقق لما هو مظنون؟ ذلك بأنها الآن في يد أهل الفساد يقيناً، وتُتخذ للإفساد يقيناً، وأما سقوطها بيد المسلمين فهو ظنٌّ، فما هو الفقه عندكم في هذا الباب.

أما إنَّ هذه النَّخيل لغير المُقاتلين فقد تقدم الجواب على هذا في الحديث السابق، ولكن من عجيب الأمر أن إفساد هذه النَّخيل، وتدمير أموال «المدنيين» - كما تزعمون - هو ما يحقق الاستسلام للمُقاتلين كما هو معروفٌ في سُنن الحروب والقِتال، ولكنكم لا تفقهون.

أما خوفكم على الهَوَامِ والطيور فنِفَاقٌ ممجُوجٌ، ولو عقلتم قوله ﷺ: «**إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»[1]. لخجلتم من قولكم هذا، فيا حسرة على

[1] «سنن الترمذي»: ٤٢٦/٧/ح٢٧٥٥. و قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ.

فقهكم الذي لم يقرأ قوله تعالى حين دمر فرعون وجنوده فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: ٢٩].

أما إن الإسلام جاء لعِمارة الأرض لا بخرابها فهذا حقٌّ، وإن الإسلام لَيُعلم أهله أنَّ أعظم الإعمار فيها هو توحيده وعبادته وتحكيم شرعه، وإن أعظم العِمارة لها طمس قوة المُشركين والظالمين والفاسقين، فإنه بالتوحيد والعدل تُعمر الأرض الجرداء كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالفساد في الأرض هو الشرك والظُلم، وهو الذي يُقلب حياة النَّاس جحيماً حيث يكون المال دُولَةً بين الأغنياء، وبالتوحيد والعدل تزول القُرى الظالمة، وتسقط القِوى المُستكبرة، ويقع بعض الآلام والحرق والقتل ثم يكون الخير للعالم، فها أنتم ترون ماذا جرَّ السكوت عنِ الطواغيت في بلادنا من الخراب والفقر والجوع والظلم، مع أنكم تعلمون أنَّ بلاد المسلمين هي أغنى البلاد، ولو كان فيها نوع عدل، لا عدل الإسلام العظيم، لما كان الحال هو الحال الذي تسكتون عليه وترون مُنازعته فساداً في الأرض.

إنكم تمنعون عن حرق بعض النَّخل ليصلح البعض الآخر، فكان أن كان كل النَّخل بيد المجرمين، يُفسدون دينكم، وينشرون الفساد في بيوتكم، ويظلمون أبشارَ النَّاس وأموالهم، ويحولون أمة الإسلام إلى مزرعة لأهل الكُفر، لينعمون فيها وبأموالها أكثر مما ينعم بها أهل الإسلام.

لقد حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضر، فخرجوا من جزيرة العرب، وخرج معهم فسادهم، وآل ما بقي من أموالهم بيد المُتقين، وهذا صنيع ورث النبي ﷺ من مُكسري الأصنام، لكنكم لا ترون الآن إلاَّ التحريق والتكسير، ولو أنصفتم لَصبرتم لِتَرَواْ ماذا بعد هذا من الخير العظيم، إذ حالكم هو حال من يسب الطبيب ويتهمه بالفساد وهو يراه يقطع يد المريض التي انتشرت فيها الأكلة، دون أن يُدرك معنى الخير بالقطع، أو يسب الطبيب الماهر الذي يشق بطن المريض لعلاجه دون أن يعرف مُراده فيما يأتي من الخير له.

إنكم ـ أيها الفُقهاء الجُدد ـ لا تُدركون شيئاً من سُنن الخَلق في الأرض والحياة، لأنَّ من أهم قواعد سُنن هذه الحياة أن لا يقع خير إلاَّ بألمٍ، ولا يستخلص الخير إلا بالتضحية ببعضه، لكنكم لا تفقهون.

الأثر التاسع :ـ

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّى، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ**». متفق عليه[1].

قال الفُقهاء الجُدد: في هذا الحديث معنى لا نقول به، ولا نفتي أهل زماننا بفَحْوَاه، ولا ننصح المسلمين بأن يقتفوه، لأنَّ هذا المعنى يجرُّ المفاسد،

[1] «صحيح البخاري»: ٦/٢٦٩٨/ح٧٤١٦. طرفه ٦٨٤٦. «صحيح مسلم»: ١٠/١٠٧/ح٣٧١٩.

ويُلطخ سمعة الإسلام، ويُعمِّقُ كراهية غير المسلمين بالمسلمين والإسلام، وهذا المعنى هو التسرع بدافع الغِيرة على الدين وحُرمات الشرع في إيذاء الجاهلين والمُتطاولين على الإسلام وبني الإسلام والمسلمين، فهؤلاء المُتحمسون حين يسمعون كلمات فاجرة ظالمة في حقِّ الله ورسوله والمؤمنين تأخذهم العاطفة الإيمانية فيندفعون بلا رَوِيَةٍ ولا تفكيرٍ في القِصاص من أصحاب هذه الكلمات، فما هي النتيجة التي تقع بفعلهم المُتسرع هذا؟

ابتداءً يؤذي المسلم نفسه بأنْ يُسجن أو يُقتل أو يُطارد، وهذه مفسدة بلا مُقابل، ثم تتعمَّق صورة المسلمين الشريرة في العالم وأنهم إرهابيون وقتلة، وهذا شرٌّ كبيرٌ تُبذل الجهود الكبيرة لمسح هذه الصورة وتغيِّيرها، ولذلك فإننا ننصح المسلمين بإتباع الطُرق السلميَّة والقانونية، أي التي تسمح بها البلاد، وبهذا يتحقق النفع ويخف الضرر، وتتلاشى المفسدة.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: الحمد لله الذي خلقَ للمعاني رجالاً يموتون ويُبتلون بسببها، وخلقَ للشهوات عبيداً يَشْقَوْنَ في تحصيلها، فإنَّ مَن يمنع المرء أن يموت أو يُسجن أو يُعذب في سبيل معاني الإيمان وقيَمها إنما هي الدواب التي لا تنشط إلاَّ للمشاكل والمرعى كما قال الله عن أئمتهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]. فحين تمنعون الرجال المؤمنين من هذا حِرصاً على حياة المُقتدين بكم والمُستفتين لكم فإنكم تُبطلون أعظم ما في هذه الحياة مِن فِعْلٍ ألاَّ وهو الشهادة والابتلاء في سبيل الإيمان وشِعبه ومعانيه، وهذه لو تفكرتم بها من خلال قواعد القرآن وقِيَمه، ومِن خلال ميزان الجنَّة ونعيمها لَدفعتهم النَّاس إليها دفعاً، ولَرغبتموهم في اقتناصها اقتناصَ الأوابد للفرائس، لكن لما غابت قِيَم الإيمان وذهبت معالمها، ولما صارت الدار الآخرة ألفاظ عقائد كلامية لا معاني قلوب، ومباحث تدريس لا حياة نفوس كانت منكم هذه الأقوال الجاهلة، فيُسَبُّ رسول

الله ﷺ فلا تتمعرْ وُجوهكم، ولا تنتفِضِ الغِيرة في قلوبكم، بل تبقون باردين كبرودة الثلج، وساكنين سكن الصم الجلاميد، وأقصى ما يأتي منكم كلمات هادئة وكأنكم تتكلمون عن القمر أو المريخ، مع أنه لو قُتلت كل أمة محمد ﷺ في سبيل ردِّ هذه الكلمات لَكان هذا من أعظم ما يحبه الله ويرضاه، ولَكانوا عنده في عليِّين شهداء، نقول لكم هذا مع أنَّ كلمة «شهداء» لم يعد لها في النفوس عندكم قِيمة، وكيف تكون كذلك ونراكم تُطلقونها على قتلى جنود الطواغيت، بل لا تستحون من تسمية المُشركين منهم بهذه الأوصاف، فحين تُصبح مراتب القُربِ من الله تجارة تتسلقون بها ليرضى عنكم أولياؤكم فلا غَرابة أن تتحول إلى سلعة مُزيفة لا تعنيكم شيئاً في الفتاوى التي تقولونها، وفي المواعظ التي تتحدثون بهت.

لقد ماتت معاني الغِيرة من قلوبكم، فلا عجبَ أن تُنكروا غِيرة سعد ووُراث غِيرة سعد، ممن تهون عليهم أرواحهم ونفوسهم، فهي أهون عندهم من قلامة ظفر حين يبذلها لله ولدينه ولمعالم الإيمان، لأن هذه النفوس قد باعوها لمولاها، فلم تَعُدْ لهم، فهم يستجيبون لما يحب ويرضى، وهو جلَّ في عُلاه يحب لعبيده هؤلاء أن يُريقوا دماءهم في سبيله ومن أجل مرضاته.

هذه مصلحة لا تفقهونها وهي لا تحفزكم حين تَزِنُونَ ما يُعرض عليكم من أعمال، فلو نظرتم إلى ما يحب الله لَمَا قُلتم ما قُلتم من الجهالات التي أتيتم بها، ولكن غابت عنكم فأتيتم بالعجائب.

عجباً منكم، وعجباً من دينكم؛ أتخوِفون رجال الإسلام من الموت؟ أم تخوفُونهم بالفقر؟ أم تخوفُونهم بالسجن والقيد؟

«إنَ الذي منه تهربون للذي إليه رجال الإسلام ينفرون» هذا معنى كلمة عبد الله بن رواحة الصَّحابي الجليل على معنى يرد على ما تفنون به من مُراد الشيطان وجنده كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وكما قال سبحانه: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وكما قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

إنْ جازَ لنا أن نُهنئ الجاهل بجهله، والأحمقَ بحمقه، فإننا نقول لكم: «هنيئاً بما أنتم فيه، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم به».

أما إنكم تخافون على صورة الإسلام أن تُشوه، فهذه شنشنة نعرفها من أخرمكم، وقد تقدم عَوارها، لكن هلا رأيتم يوماً أحب فيه الذئب الحمل؟ أم هل رأيتم يوماً وعظ الشيطان موعظة الصالحين؟

إنهم يحبون من الإسلام الذي يكون فيه حملاً وديعاً، فإنْ صار رِجاله على معنى ما يقوله تعالى: ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢] فإنهم لا يحبونهم.

وإن صار رجال الإسلام وشبابه على معنى قوله تعالى: ﴿ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ ﴾ [الأنفال: ٥٧]. فإنهم حينئذٍ أهل شرٍ وإرهابٍ وخرابٍ. ثمَّ إنَّ الصدق نقوله لكم: هل حقاً تحبون للآخرين أن يحبوا الإسلام الذي تقرر مبادئ عقائده الأولى أنهم إن ماتوا على غيره ماتوا إلى جهنَّم وبئس المصير؟ إن كان ذلك كذلك فأعلموهم حقيقة الإسلام ولا تخدعونهم، ولا تكذبوا عليهم، فيأتون يوم القيامة وقد تعلَّقوا برِقابكم أنكم زَوَرْتمُ دين الله عليهم، وكذبتم عليهم في سِتر حقائقه.

نعم إنهم يحبون الإسلام «المعتدل» الذي تأتون به، وإنَّ داخل هذه الكلمة «المعتدل» مِن الخُبث والشَّر والباطل ما يعلمه صغار أهل الإسلام أكثر منكم، ويكفيكم مِن الشَّر بعضه، فإنَّ شَرْحَ ذلك من نافلة القول لاشتهاره وعدم خفائه.

أما اتهامكم شباب «سعد بن عبادة» اليوم بالتهور والتسرع، فَلِمَ لا؟ والله يقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأما هونكم وفِكركم فهو على ما قاله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء: ٧٢-٧٣].

فأئمتكم همُ المُنافقون الذين يرقبون النتائج ليتخذوا المواقف، فحيث مالتْ كانوا معها، أما أهل الحق فإنهم مع الحقِّ إن كان وقتَ القوة والعِزَّة، وهم معه إن كان وقتَ البلاء والمحنة.

لقد رأينا حِكمتكم البالغة أين أوردت بأُمة الإسلام، حيث خرقَ في الإسلام خرقاً فسكنتُم، وزعمتمُ الحِكمة - أي حكمة السكوت - فكبر الخرق، واتسعَ الشر، وساد الفساد، حتى دخل بيوت النَّاس وغلبهم، هذا مع أنَّ شرطَ الحِكمة البالغة أن تبلغ هدفها بإزالة الشر ونشر الخير، فكان البلوغ لكن على غير ما يحبه الله والمؤمنون.

هيا يا شباب الإسلام، فدعوا حِكمة سعد بن عُبادة المهتديَّة البالغة تعمل عملها، وسيروا بها حتى يطمئن صاحب شرٍّ على شره، وحتى يتحقق فيكم قوله تعالى وهو يرد على الملائكة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فقال الله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]. فكونوا أنتم هؤلاء الذين خَلَقَ الله الكون من أجله، وهم أحق بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

الأثر العاشر:ـ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَداً**». رواه مسلم[1].

قال الفُقهاء الجُدد: هذا من الآثار التي لا نحب نشرها، ولا أن يسمعها النَّاس منَّا اليوم، فإنَّ العالَمَ اليوم يدعو للسلم، والله يقول: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال: ٦١]، ومثل هذه الآثار تُسيء للإسلام والمسلمين، وتحرض البغضاء بين أصحاب الأديان المُختلفة، ونحن نعلم أنَّ الإسلام دين العدل، لا يُفرق بين مسلم وغيره، بل هو يدعو للمحبة، والله يقول: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨ ـ٩] وغير المسلمين اليوم أغلبهم من الصنف الأول، فلا يجوز العمل بهذا الحديث اليوم، ولا تعليمه الشباب إذ يدفعهم لأمورٍ لا نحبها لهم.

قال أهلُ الحقِّ والقرآن: الأُمم الحية تخرج ذخائر قوتها، وتستفز عوامل منعتها، وتشحذ هِمم رجالها وقتَ المُلمات واجْتِيَاحِ الفِتن وتكالبِ الأعداء، وأما أنتم فغرائبكم شطت بها الجهالات إلى ما لا تقوله الأديان، ولا ترضاها حِكم العقول والأذهان، فلا دين الإسلام طرقتكم، ولا عقل الجاهلية أتبعتم، فلا ندري بأيِّ لسانٍ نخاطبكم، فما أشقى أُمَّة أنتم هُداتها وقادتها، فبمثلكم تعود العِزَّة إلى ذلٍ، والقوة إلى هوانٍ، فكيف لو كان أمر الأُمة في هوانٍ يريد القوة، وفي ذلٍ يريد العِزَّة؟ .

---

[1] «صحيح مسلم»: ١٣/٣٢/ح٤٨٥١.

أما تخفيكم خلفَ آيات الكتاب فمكشوفٌ، فما كل من قرأ آيةً في بابٍ كانت له حجَّة، فإنَّ نابليون لما دخل مصر أتى بالبيانات «الفرامانات» التي حشدها بالآيات على وجهٍ خير مما تفعلون، ثم ها هم زعماء الكفر يقرؤون آيات القرآن التي تحقق مُبتغاهم في هوان أُمة محمد ﷺ وجُبنها وضيَّاعها، فإنْ كانت آيات القرآن على هذا الوجه الذي يُريدونه فما الدين حينئذٍ إلا باطل في باطل، ونبذ الدين هذا الذي يقرأ على المسلمين اليوم منا هنا وهناك خير لأمة محمد ﷺ، لأنَّ هذا الدين إفسادٌ للدنيا والآخرة، وعدم الدين الباطل مع عقل جاهلي ضياع للآخرة مع معيشة لا تقبل الهوان، وحينئذٍ تكون قصيدة لعنترة بن شداد أو مُعلقة عمرو بن كلثوم أصلح في تحقيق العِزَّة ورد الظُلم والهوان من مواعظكم الباطلة الكاذبة، حتى وهي تتخفى خلفَ آيات القرآن الكريم.

لقد أخذ الكفار منَّا ما يشتهون، وفوق ما يشتهون، ثم دعونا إلى بذل شيءٍ مما أخذوه مما لا يقدرون عليه من الغنائم فسميتموه سلماً جنحوا إليه، فأوجبتم على الأُمة أن تجنح إليه، وهذا تطبيقٌ لمثلٍ مُشتهرٍ في بلادهم لرجلٍ غرسَ خنجراً في ظهر آخر عشرة «انشات» ثم فاوشه أن يسحب منه انشين، وسمى هذا إحساناً وصدقة، ثم بعد أن حكَّموا شرائعهم في بلادنا، ونصَّبُوا أزلامهم فوق رؤوسنا، وملكوا ما فوق الأرض وتحتها أصالةً ووكالةً، دعونا أن نحتكم إلى سلم رسموه على فوق قوانينهم في مجلس الظُلم الذي سموه مجلس الأمن، وأقاموا من الشرائع والمحاكم التي تحفظ للكفر سطوته وقُوته، وأنتم من جهالاتكم سميتم هذا الظلم أمناً، وهذا الشرع سلماً وعدلاً، بل سميتم وُكلاءهم وُلاة أمرٍ يقضون في حقوق الله وحقوق الأُمة، فهل هذا هو فقه القرآن الذي أمر الله فيه بالعدل والإحسان؟

وهل هذا فقه القرآن الذي أوجب على المسلمين العِزَّة وعُلُو الإيمان والغَلبة في الأرض؟

هما آيتان في القرآن في باب السلم؛ الآية التي قُلتموها، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١]، وآية سورة «القتال»: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد: ٣٥] فآية تأمرنا بعدم الدعوة إلى السِّلْمِ، وآية تأمرنا أن نقبل منهم دعوتهم إنْ دعونا إليه، فهذا دليلٌ أنَّ السِّلْمَ ليس خيارنا، بل هو خِيارهم وهُم في أرضهم وبلادهم غير سارقين ولا محتلين لبلادنا أو بلاد غيرنا، وكل هذا اليوم لا وجودَ له، بل هم مَن أقام دولة يهود، وهم مَن أمدها حتى قامت، ويمدها حتى تدوم بمال والسلاح، وهم مَن نصب الطواغيت في بلادنا، وهم من غزا وما زال يغزو بلاد المسلمين كلما سنحت له الفرصة بعدم قيام وُكلائه بواجبهم الذي نصب لهم، ثم تأتون أنتم وتكذبون على الله وعلى كتابه، وتُزورون الواقع وتقولون: إنهم دعونا إلى السِّلْمِ فوجبَ القبول.

فها هم مَن أخرجوا المسلمين، فنازحٌ ولاجئٌ ومهاجرٌ.

وها هم ظاهروا على إخراج المسلمين.

وها هم يحاربون أشد الحرب لكلِّ أرضٍ يريد أهلها حُكم الدين.

فهل في هذا خفاء على صاحب بصيرة، أم أنكم قبلتم فتوى الجاهلين بحرمة تعلم فقه الواقع إلاَّ لولي الأمر الذي أفسد الدنيا والدين؟.

إنكم قد تزعمون لعموم المسلمين من غير العلماء أنَّ عندكم عِلْماً في الكتاب والسنَّة لا يعلموه، أما أن تكذبوا على امرئٍ صاحبَ عقلٍ يحترم عقله أنَّ هذا الواقع الذي يراه ويعيشه ليس حقيقة فهذا لا سبيل للمسلمين أن يقبلوه منكم، بل مهما زعمتم على الكتاب والسنَّة فإنكم عند عموم المسلمين كذبة فجرة، تُسمون الأشياء بغير اسمها، فهذا الحاكم الذي يعلم النَّاس ظُلمه تُسمونه عادلاً، ويعلمِ النَّاس فاسداً تُسمونه صالحاً، ويعلمِ النَّاس مُوالاته للكافرين تُسمونه

مؤمناً، ويعلمِ النَّاس سرقته تُسمونه أميناً، فإن كان إجرامكم قد وصل إلى إنكار نور الشمس في رابعة النَّهار فكيف يُصدقكم النَّاس في التبليغ عنِ الله وعن رسوله؟.

إنَّ صاحب العقل السوي معكم وأنتم في هذه المقامات الضالة الفاجرة إلى حالين؛ إما أنْ يهديه الله إلى فقه الكتاب والسنَّة بعيداً عنكم فيَعلمَ أنكم لُصوص وقُطاع الطريق إلى الله، وإما أنْ يظن أنكم تقولون ما هو في الإسلام حقاً فيكفر بهذا الدين الذي يدعو لهذه الجهالات، وهذا ما وقع طويلاً في هذه الأمة، إذ ظنوا أن الإسلام لا يصلح لواقعهم ومشاكله لما رأوا منكم ما رأوا، فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال، وإنَّ آثام هؤلاء في أعناقكم، وإنه لولا ما أقامه الله من الصادعين بالحقِّ من المجاهدين في سبيل الله لَتكررَ الحال اليوم، ولَذهبَ النَّاس إلى مذاهب الضلال التي يرى النَّاس أئمتها وقادتها يُنازعون المُستكبرين والظالمين في خُطبهم ومقالاتهم، ويرونكم أعواناً للطواغيت، وسدنةً للشرِّ، وسِتاراً يمنع الحق أن يبلغ للنَّاس.

أما إنكم لا تحبون نَشْرَ مثل هذه الأخبار، فلم لا، والجبان يكره ذِكر الشجاعة، والمريض يُؤذيه ضوء الشمس، ومحبّ الكافرين يكره إيذاءهم، وولي الطواغيت يسوؤه إغضابهم، وأما ولي الله فإنه يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، فيعطي ويمنع، ويحيي ويقتل كما أمر الله ورسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الخَاتِمَة

قلتُ: هذه عشرة آثار أردتها نموذجاً لتعامل الفُقهاء الجُدد مع دين الله تعالى، كما هو تعاملهم مع حادثة كسر الأصنام، إذِ القواعد واحدة، وطريقة الأحكام التي تصدر منهم لها أصول لا تحمد فعل السابقين، ولا تفتي أهل الإسلام بهديهم الذي ارتضاه الله قُدوة لمن بعدهم.

بهذه الحوادث التي تمت حول هذه الآثار يمكن للمرء الذي يريد وجه الله والدار الآخرة أنْ يعلمَ طائفة الحقِّ من طوائف الباطل، كما سيُدرك تهافتَ قواعد الفُقهاء الجُدد التي ينسبونها للإسلام وهو منها براء.

هناك قضية أُخرى، وهي بيان ضلال هؤلاء في فهمهم للآيات والأحاديث التي يحتجون بها في تمرير فِقههم المحدَّث ونشره بين المسلمين باسم الإسلام، وهذه تحتاج إلى حالٍ غير ما أنا فيه، وهي من أعظم ما يُقبل عليه طلبة العلم اليوم ويفرغوا له، لأن فيه إحياء منهج السنَّة النَّبويَّة، كما يقع إبراء الكتاب والسنَّة من أهوائهم التي يُسمونها فِقهاً شرعياً.

إنَّ التأويلَ والتحريفَ، والعملَ بالرأي مُقابل الشرع له حضور طاغٍ في زماننا، وقصد أهله منه حمل الشرع ليكون ردءاً للباطل، وسِتاراً يحميه، يقوم عليه طِغام من البشر، ممن باعوا دينهم من أجل دُنيا غيرهم، فمسخت معالم الدين وحقائقه من توحيد الله واتباع الرسول وذِكرى الدار الآخرة، وهي معالم الإسلام الأُولى التي إنْ أصابها ضعف في سلوك المرء أو عقله، أو فِقهه صار أمره إلى تحوير حقائق الإسلام.

هذا التحريف إنْ لم يقفْ له أهل الفقه والدين، وأهل العلم الراسخون فيه فإنَّ مآل الشرع كله إلى انقلابٍ يُصيبه كما أصابَ الأديان الأُخرى، وهذه فترةٌ حرجةٌ

لأمة الإسلام تستدعي تجديداً للكتاب والسنَّة، أي إعادة الجدة لهما على الوجه الذي كانا فيه في الصدر الأول، القائم بهذا مجاهد في سبيل الله، وسيلقى العنتَ والعذابَ والسبَّ والإيذاءَ، وبهذا يكون على سُنن السابقين من علماء الإسلام؛ يقول الحق ويعمل به ويصبر على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وليتذكر هؤلاء أن مدادهم في هذا الباب هو على معنى الدماء التي تسيل جهاداً ضدَّ المرتدين والكفار الأصليِّين والزنادقة المجرمين، فهنيئاً لمن اختاره الله لذلك، وأقامه في هذه المقامات العظيمة.

والحمد لله ربِّ العالمين

تم بحمد الله

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

قائمة المراجع

❑ «**إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**» لأبي العباس أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل بن سَليم بن قايماز بن عثمان البوصيري. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت.

❑ «**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**»، «**صحيح ابن حبان**» لأبي حاتم البستي محمد بن حبان بن أحمد بن حِبَّان بن معاذ بن معبد التميمي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٦م.

❑ «**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**» لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م.

❑ «**البداية والنهاية**» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي. طبعة مكتبة المعارف/بيروت. الطبعة السابعة ١٩٨٨م.

❑ «**البداية والنهاية**» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي. طبعة مكتبة المعارف/ بيروت. ١٩٨٨م.

❑ «**الجامع الصحيح**»، «**سُنن الترمذي**» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.

❑ «**الجامع المُسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه**»، «**صحيح البخاري**» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة البخاري. طبعة دار ابن كثير. الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.

❐ «**السنن الكُبرى** للبيهقي» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٩م.

❐ «**السنن الكُبرى للنسائي**» لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٩١م.

❐ «**السيرة النَّبويَّة**»، «**سيرة ابن هشام**» لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمَيَري المعافري. طبعة دار الجيل/بيروت.

❐ «**المُستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري الشهير بـ "الحاكم" ويُعرف بـ "ابن الربيع". طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

❐ «**المُسند**» لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت. الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

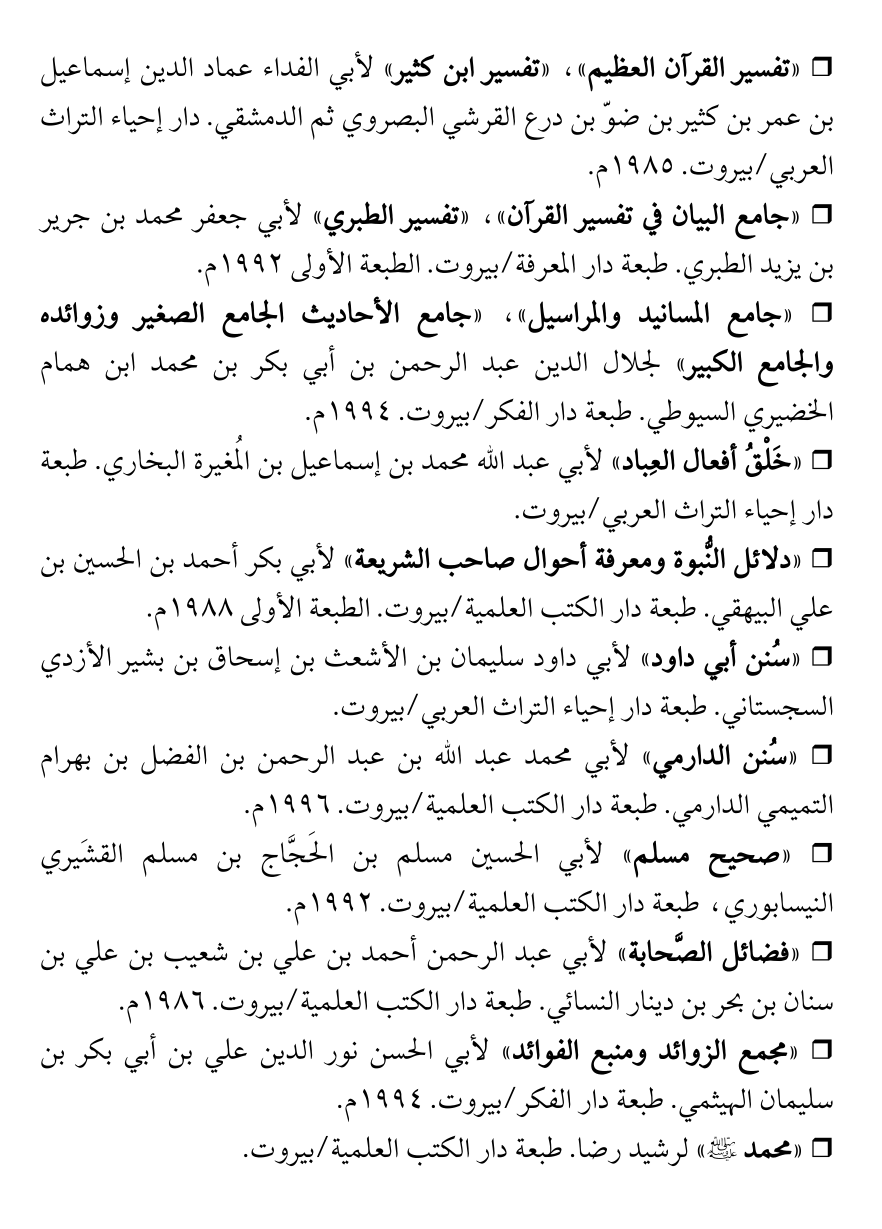
❐ «**المُصنف في الأحاديث والآثار**» المشهور بـ«**مُصنف ابن أبي شيبة**» عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.

❐ «**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**» لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ ابن حجر العسقلاني. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى. ٢٠٠٣م.

❐ «**المعجم الأوسط**» لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.

❐ «**المُنتخب من مسند عبد بن حميد**» أو «**مُنتخب عبد بن حميد**» لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكَسِّي. طبعة دار عالم الكتب. ١٩٨٨م.

❐ «**تفسير البغوي**» لأبي محمد هو أبو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت. ٢٠٠٢م.



❒ «**تفسير القرآن العظيم**»، «**تفسير ابن كثير**» لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي. دار إحياء التراث العربي/بيروت. ١٩٨٥م.

❒ «**جامع البيان في تفسير القرآن**»، «**تفسير الطبري**» لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري. طبعة دار المعرفة/بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

❒ «**جامع المسانيد والمراسيل**»، «**جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**» لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيري السيوطي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.

❒ «**خَلْقُ أفعال العِباد**» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المُغيرة البخاري. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.

❒ «**دلائل النُّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

❒ «**سُنن أبي داود**» لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. طبعة دار إحياء التراث العربي/بيروت.

❒ «**سُنن الدارمي**» لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٦م.

❒ «**صحيح مسلم**» لأبي الحسين مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم القشَيري النيسابوري، طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٢م.

❒ «**فضائل الصَّحابة**» لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٨٦م.

❒ «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**» لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. طبعة دار الفكر/بيروت. ١٩٩٤م.

❒ «**محمد** ﷺ» لرشيد رضا. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت.

❑ «**مراسيل أبي داود**» لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني. دار الكتب العلمية/بيروت.

❑ «**مُسند أبي يعلى الموصلي**» لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ١٩٩٨م.

❑ «**مُسند البزار**»، «**البحر الزخار**» لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار. طبعة مكتبة العلوم والحكم. ٢٠٠٥م.

❑ «**مُعجم أبي يعلى الموصلي**» لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت.

❑ «**معرفة الصَّحابة**» لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني. طبعة دار الكتب العلمية/بيروت. ٢٠٠٣م.

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

محتويات الكتاب

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆